

اندریه چید

من ابطال الأساطیر اليونانیة

اودیب  
تیسیرس

ترجمة  
طه حنين

دار الکاتب المصری











# اودیب تیسیرس



الطبعة الأولى . . . أكتوبر ١٩٤٦

العنوان الأصلي للكتاب  
بالفرنسية

ANDRE GIDE

OEDIPE

\*

THESEE

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري ١٩٤٦



*Mon cher André Gide,*

*Pour vous avoir entendu nous lire «Œdipe» et «Thésée», je sais la particulière tendresse que vous avez pour eux.*

*C'est pourquoi je leur appris l'arabe, afin qu'ils puissent aux lecteurs de l'Orient dire votre message, qui est confiance, courage, sérénité.*

*Ils témoigneront aussi de cette grande admiration que j'ai pour vous, et qui, depuis notre rencontre, est devenue une si précieuse amitié.*

TAHA HUSSEIN

Le Caire, le 7 Octobre 1946.

صديق أندريه جيد

سمعتك تقرأ لنا قصتي «أوديب» و«ثيسهوس» فعرفت  
الحنان الخاص الذي تؤثرهما به .

ومن أجل هذا علمتهما العربية ليبلغا إلى قراء الشرق رسالتك  
التي هي ثقة وشجاعة واستبشار .

وسيشهدان كذلك بما أضمر من إعجاب بك قد أصبح منذ  
التقينا وداً كريماً .

طه حسين

القاهرة ، ٧ أكتوبر ١٩٤٦







## مقدمة

١

كان لا يوس Laïus منذ ارتقى إلى عرش ثيبا Thèbes  
يحيا حياة سعيدة راضية مع زوجته جوكاست Jocaste .  
ولم يكن يكدر صفو هذه السعادة إلا شيء واحد وهو  
أن الزوجين لم يرزقا الولد . نخطر للملك أن يستشير أبولون  
Apollon في محنته هذه لعله أن يجد له منها مخرجاً ،  
وأن يتم عليه نعمة الملك السعيد المجيد الذي لا يقتصر  
على شخص صاحب العرش ، وإنما ينتقل منه إلى ذريته  
التي تتوارثه أجيالها إلى آخر الدهر . فلم يكن لا يوس



قصير الأمل ، ولا محدود الأمد . لم يكن يريد أن يملك  
 ليس غير ، وإنما كان يريد أن ينشئ أسرة مملكة .  
 ولكن أبولون لم يكن سمحاً ، ولا موافقاً ، فأظهر للملك  
 في شيء من الإلغاز ما خبأه له القضاء . أعلن إليه أنه  
 إن رزق الولد فسيقتله ابنه . وقد عاد لايوس من معبد  
 أبولون مهموماً ، شديد الحزن ، موزع النفس بين الحرص  
 على الحياة والرغبة في الولد الذي يرث الملك ، ويخلد الذكر .  
 وقد شك طويلاً أو قصيراً بين هاتين العاطفتين ، ولكنه  
 آثر الحياة آخر الأمر على الولد ، فرضى العُقم بل رغب  
 فيه وحرص عليه . غير أن القضاء ماض إلى غايته دائماً ،  
 فما هي إلا أن يرزق لايوس من زوجه چوكاست هذا الغلام  
 الذي أنذره أبولون بأنه سيذيقه الموت . هنالك استأثر  
 الحرص على الحياة بنفس الملك ، فأزمع أن يقتل ابنه قبل  
 أن يقتله هذا الابن ، وأسلم الطفل إلى راع من رعاته ، وكلفه



أن يلقيه على الجبل نهباً للسباع . ولكن الراعى لم يكن قاسى القلب ولا غليظ الطبع ، فلم يُلقِ الطفل على الجبل ولم يقتله ، وإنما أسلمه إلى راع آخر لملك كورنت *Corinthe* فى بعض الروايات ، أو علقه إلى شجرة من أشجار الجبل من رجليه اللتين شقهما ، وجمع بينهما بحبل متين . ومهما يكن من اختلاف الروايات ، فإن الصبي لم يمت نهباً للسباع ، ولا نهباً لايجوع والبرد والجراح ، وإنما تلقاه راعى كورنت فعطف عليه ورفق به . وكان ملك كورنت بوليب *Polybe* شقيئاً بعقم امرأته ميروپ *Méropé* ، فيدفع الراعى إليه هذا الصبي ويتبناه الملك وينشئه تنشئة أبناء الملوك . وقد شب الصبي قوى الجسم والنفس جميعاً ، ماضى العزم ، صارم الإرادة ، معتدداً بنفسه ، جاهلاً لأصله ، بعيد الأمل مع هذا كله عظيم الأطماع . ولكنه يرى من لداته وأترابه ما يريبه ، فهم يمسحون له بأنه ليس ابن الملك . وهو يضيق



بهذه الريبة ويريد أن يعرف جلية أمره ، فيذهب إلى معبد  
أبولون ليتبين حقيقة الأمر في وحي الإله . والقضاء صارم  
حازم قاس لا يعرف رفقا ولا ليناً ، وإذا أبولون لا ينبي  
الفتى بأصله ، ولا يزيل من نفسه الريبة ، وإنما يضيف  
شكاً إلى شك وخوفاً إلى خوف ، فينبئ الفتى بأنه سيقتل  
أباد ، وسيتزوج من أمه ، وسيقترب هاتين الخطيئتين  
المنكرتين .

وكان لايوس قد أراد أن يقاوم القضاء فيخاص من  
هذا الصبي الذي سيذيقه الموت ، فانتصر القضاء على إرادة  
لايوس ، وعاش الصبي ونما حتى أصبح قادراً على اصطناع  
السلاح . وهذا الفتى ينبئ أبولون بأنه سيقتل أباد ويقترب  
بأمه ، فيريد أن يقاوم القضاء ، وهو لا يعرف لنفسه أباً  
غير بوليب ملك كورنت ، ولا إماً غير ميروب ملكتها .  
فليجتنب إذن كورنت ، وليأخذ طريقه إلى أى بلد آخر



بعيد عن هذه المدينة حتى لا يُغري بقتل أبيه أو اتخاذ أمه لنفسه زوجاً . وإنه لفي بعض الطريق عند مكان شديد الضيق ، وإذا عربة تعترضه وتأخذ عليه سبيله ، فيكون الخصام باللسان ، ثم يكون الاقتتال ، وإذا الفتى يقتل صاحب العربة ، وقد تفرق من كان معه من خدم وأنصار . ويمضي الفتى لوجهه راضياً عن نفسه ، مطمئناً لحسن بلائه ، غير مقدر أنه قد أنفذ بعض ما كتب القضاء عليه ، فقتل أباه ، واقترب أحد الإثمين اللذين أنذر بهما أبولون . وهو يمضي في طريقه حتى يدنو من مدينة ثيبا ، فيسمع بأن المدينة مروعة بخطر داهم ونكر مبین . فهذا كائن غريب قد هبط عليها من السماء أو نجم لها من الأرض ، جاءها من حيث لا تعلم على كل حال ، واستقر غير بعيد من المدينة على صخرة مرتفعة يرصد من يمر به من الناس ، فيلقى عليهم لغزه الغريب : ما كائن له صوت واحد ، يمشي على أربع إذا



أصبح ، وعلى اثنتين إذا زالت الشمس ، وعلى ثلاث إذا أقبل  
المساء ؟ وهذا الكائن الغريب الذى اتخذ جسم الأسد ،  
ورأس المرأة ، ووصل بجسمه جناحين ، والذى يسميه  
اليونان سفنكس Sphinx ، ويسميه المصريون القدماء  
بو الهول ، أو أبا الهول ، لا يعنى أحداً من الإجابة على  
هذا السؤال وحل هذا اللغز . والناس جميعاً يعجزون عن  
الإجابة ولا يجدون حلاً لهذا اللغز ، وهو يعاقبهم بالموت  
على هذا العجز والإخفاق . وقد عظم الكرب ، وعم  
البلاء ، وامتلات قلوب أهل المدينة خوفاً ورعباً ، حتى  
اضطر كريون Créon أخو الملكة چوكاست والناهض  
بأعباء الملك بعد قتل لا يوس أن يذيع فى أقطار الأرض  
أن من أراح المدينة من هذه المحنة فله تاجها وله  
الملكة زوجاً .

وقد سمع الفتى بأنباء هذا الكائن الخطر ، وبهذا الوعد



الرائع الذى يبذل لمن ينقذ منه هذه المدينة البائسة ، وهو قوى الجسم والنفس ، ذكى القلب ، حديد الفؤاد ، بعيد الامل ، شديد الطموح ، فيقبل على أبى الهول يجرب ذكائه وقوته ، ويغامر بحياته فى سبيل المجد والملك . وأبو الهول يلتقى عليه السؤال فيجيبه الفتى بأن الإنسان هو الذى يمشى على أربع إذا أصبح لأنه يحبو فى الطفولة ، ويمشى على اثنتين إذا انتصف النهار لأن قامته تعتدل وتستقيم إذا شب ، ويمشى على ثلاث إذا أقبل المساء لأنه ينحنى على العصا إذا أدركته الشيخوخة ، وقد اخم أبو الهول وألقى بنفسه من أعلى الصخرة فمات . وظفر الفتى بعرش ثيبا ، واتخذ الملكة له زوجا ، واطمأن إلى أنه قد أفلت مما تنبأ له به وحى أبولون ، فلم يقتل أباه ، وأين هو من طابر السبيل ذاك الذى قتله ! ولم يقترن بأمه ، وأين هو من ملكة ثيبا هذه التى تزوج منها ! لقد ترك



أبويه في كورنت وأسس لنفسه ملكاً جديداً ، وقد رضى  
عن رعيته ورضيت عنه رعيته ورزق الولد . فله ابنتان  
إتيوكل Etéocle وپولينيس Polynice ، وله ابنتان  
أنتيجون Antigone وإسمين Ismène . وهو يرى نفسه  
سعيداً موفوراً راضى النفس رضى البال . ولكن  
المدينة تُمْتَحَن ذات عام بوباء يفسد عليها أمرها كله  
فساداً عظيماً ؛ فقد هلك الزرع وجف الضرع وأسرف  
الموت في كل حي ؛ فالطير تساقط من السماء ؛ والماشية  
تخر إلى جنوبها ، والناس يستبقون إلى القبور حتى تضيق  
بهم وحتى يعجز بعضهم عن دفن بعض ، وقد عم البلاء  
وعظم الكرب واشتدت المحنة حتى بلغت أقصاها . وأهل  
المدينة يستعطفون الآلهة بالضحايا والقرايين ويتوسلون  
إليهم بالصلاة والدعاء ، فلا يغنى عنهم هذا كله شيئاً . وهم  
قد هرعوا إلى ملكهم يفرعون إليه ويستعينونه ، فيرسل



الملك إلى معبد أبولون من يؤامر الإله ويستشير في هذا  
البلاء العظيم . ويعود رسول الملك إليه يحمل جواب  
الإله واضحاً غامضاً ومُعَمَّى صريحاً ، كما تعود أبولون  
أن يجيب دائماً . أجاب أبولون بأن الآلهة لن يكشفوا  
الضر عن هذه المدينة إلا إذا ثارت للايوس  
من قاتله .

ولم يكد الملك يتلقى هذا الجواب حتى أعلن في حزم  
وصرامة أنه باحث عن هذا القاتل ومترل به أشد العقاب ،  
وأنه يطلب إلى أهل المدينة أن يعاونوه على ذلك في غير تردد  
ولا ضعف مهما يكن هذا القاتل . ثم هو لا يكتفى بذلك  
بل يستنزل اللعنات وغضب الآلهة على هذا المجرم الذى قتل  
ملكاً وعرض المدينة لشر عظيم . ولكن الملك لا يكاد  
يبحث عن هذا المجرم حتى تتبين له الحقيقة منكرة بشعة ،  
فهو المجرم الذى قتل لايوس هناك في ذلك المكان الضيق .

وهو الآثم الذى اتخذ أمه له زوجا وعاش معها فى هذا القصر وأولدها أبناءه الأربعة .

ليس فى ذلك شك ، واسمه نفسه يدل على ذلك دلالة قاطعة ، فهو أوديب Oedipe ذو الرجل المتورمة ، ورجله متورمة حقاً من أثر ذلك الثقب الذى علق به إلى الشجرة فى طفولته الأولى على الجبل . يعرف ذلك من الراعى الذى كُلف قتله ، ويعرف ذلك من الراعى الذى أنقذه من الموت وأسلمه إلى ملك كورنت . هنالك يتبين أوديب وتتبين چوكاست أن لا مرداً لما كتب القضاء . فلم يغن عن لا يوس تخلصه من الصبي ، فقد عاش الصبي حتى قتله . ولم يغن عن چوكاست تخلصها من الصبي فقد عاش الصبي حتى اقترن بها . ولم يغن عن أوديب فراره من قصر كورنت وتجنبه ملكها وملكته هرباً من الإثم ، فلم يكن من هذين الزوجين فى شئ\* . وإنما هو ابن لا يوس وقد قتل



لايوس ، وابن چوكاست وقد تزوج من چوكاست . والمهم أنه قد عرف القاتل الذى يجب أن يثار منه لتخلص المدينة من هذا البلاء ، فيجب أن يثار من نفسه إذن ، فإن لم يفعل فستثار منه المدينة التى لم تكن ترى فيه ملكا فحسب ، وإنما كانت ترى فيه شيئا يشبه الإله .

فأما چوكاست فلم تكذب تظهر على الحقيقة البشعة حتى خنقت نفسها . وأما أوديب فقفا عينيه يسيده حتى لا يرى الضوء .

وتختلف الروايات يعد ذلك أو قل تختلف الروايات قبل ذلك ، ويزيد فى اختلافها فن شعراء الممثلين الذين اتخذوا هذه القصة موضوعاً للتمثيل ؛ فقوم يرون أن چوكاست لم تقتل نفسها ، وإنما عاشت حتى رأت اختلاف ابنها على العرش وتساقيهما الموت ، ولم تقتل نفسها إلا بعد أن رأتها صريعين . وقوم يرون أن أوديب قد نفي

تفسه من الأرض بعد أن فقا عينيه وهام غريباً تقوده  
ابنته أنتيجون حتى انتهى آخر الأمر إلى ضاحية من  
ضواحي أثينا مات فيها . وآخرون يرون أنه لم ينف نفسه ،  
وإنما تفاه ابنه بعد أن وليا الملك . وآخرون يرون أن  
ابنيه قد أمسكاه في القصر ولم ينفياه ، وإنما تفاه كريون  
بعد أن مات ابنه ، فلجأ إلى الضاحية الأثينية ومات فيها .  
هذه هي القصة التي روتها الأساطير اليونانية منذ أبعاد  
العصور ؛ فقد تحدثت بها الأوديسة *L'Odyssée* في  
نشيدها الحادى عشر ، كما تحدثت بها أقاصيص ثيبا نفسها  
بعد ذلك .

## ٢

والشعراء الممثلون من اليونان يعتمدون في تمثيلهم  
محكم الفن نفسه وبحكم الدين أيضاً على الأساطير ، فالأبطال



القدماء هم موضوع المأساة اليونانية التي تصور حياتهم أو تصور ما يمتاز به حياتهم من المحن والخطوب ، وتصوير هذه المحن التي أملت بالأبطال وعرضها على النظارة في ملاعب التمثيل شيء كان الاثينيون يرونه فنًا ويرونه دينًا . فيه الجمال الأدبي الذي يعظ النفس ويذكي القلب ويشير العاطفة وينمي الفضيلة ويرفع الإنسان عن صفائر الحياة إلى جلائل الأمور ، وفيه تقديس الآلهة وتمجيد الأبطال والإشادة بالقديم وما فيه من مآثر كتب لها الخلود . وقد كان اليونان قبل أن ينشأ فن التمثيل وقبل أن ينشأ فن الغناء نفسه يتقربون إلى آلهتهم بإنشاد الشعر القصصي والاستماع له . ثم نشأ الغناء فتقربوا به إلى الآلهة ، يتغنون حياة الأبطال وحياة الآلهة وما عرض لهم فيها من خير وشر . ثم نشأ فن التمثيل فتقربوا به إلى الآلهة كما كانوا يتقربون بالقصص والغناء . ومن أجل هذا كله تغيرت صور

الفن الشعرى عند اليونان ولم يتغير موضوعه . فالأبطال والآلهة هم موضوع القصص في الإلياذة والأودسة ، وهم الموضوع الأساسى لغناء المغنين ، وهم الموضوع الأساسى لتمثيل الممثلين أيضاً . ومع ذلك فتغير الصورة له خطر العظم وإن بقى الموضوع ثابتاً مستقراً ، ذلك أن الصورة لم تتغير إلا لأن النفس اليونانية قد تغيرت بحكم ما أحاط بالشعب اليونانى من الظروف . فقد كان القصص اليونانى صورة لحياة الجماعة لا يكاد يظهر فيها من الأفراد إلا شخصية الآلهة والأبطال ، بل لا تظهر فيها شخصية الشاعر نفسه . فلما ارتقت الحضارة وذكّت القلوب وقويت شخصية الفرد ، تغيرت صورة الشعر ، فظهر شخص الشاعر أولاً وأصبح الشعر لا يضاف إلى شاعر مجهول يسمى هوميروس مهما يكن موضوعه ، وإنما يضاف إلى شعراء معروفين يراهم الناس ويتحدثون إليهم



ويتحدثون عنهم ، وأصبح الشعر لا يصور الآلهة والأبطال  
الممتازين وحدهم ، وإنما يصور شخصية الشاعر نفسه ،  
ويصور معها شخصية كثير من الأفراد ، وما يجدون من  
لذة وألم ومن حب وبغض ومن عاطفة وشعور بوجه عام ،  
ثم أصبح الشعر لا ينشد إنشاداً يسيراً تسنده بين حين  
وحين نغمات ساذجة توقع على أداة ساذجة من أدوات  
الموسيقا ، وإنما ينشد إنشاداً معقداً يتشكل فيه الصوت  
بالأشكال المختلفة التي يقتضيها الغناء ، وتسنده وترج منه  
أحياناً أدوات موسيقية كثيرة مختلفة ، ويسنده الرقص  
أيضاً بحيث يوشك أن يشبه الأوبرا في عصرنا الحديث  
لولا أنه كان يخلو من حركة التمثيل . ثم تتقدم الحضارة ،  
ويرقى العقل ، وتقوى الشخصية ، وتظفر الشعوب في  
المدن بحقوقها السياسية ، فتتغير صورة الشعر . وإذا  
الحوادث التي كانت تقص في الشعر القصصى ، وتغنى

في الشعر الغنائي ، قد أصبحت تعرض على النظارة في ملعب التمثيل يجريها الشاعر على أيدي أشخاص يمثلون الأبطال والآلهة أنفسهم . وهذا التمثيل نفسه لا يخلو من الغناء والرقص توقعهما الجوقة وقد يشارك فيهما كليهما أو أحدهما الممثلون . وقد أصبح جمهور النظارة ذا شأن خطير ، فهو يشارك في حفلات التمثيل لا بشهود التمثيل فحسب ، ولكن كذلك بالقضاء بين المستبقين من الشعراء الممثلين . وقد كان الشعراء يشاركون بأنفسهم في التمثيل أول الأمر ، ثم نشأت طائفة الممثلين المحترفين ، وجعل الشعراء يكتفون بإنشاء الشعر وإرشاد الممثلين وأعضاء الجوقة .

كذلك كانت الحال في القرن الخامس قبل المسيح حين عرض الشعراء الثلاثة الممتازون : إيسكولوس Eschyle وسوفوكل Sophocle وأوريبيد Euripide لحياة الأبطال



والآلهة فعرضوها في الملاعب على النظارة من الاثنينين .  
 وكان بمن نتيجة هذا كله أن هؤلاء الشعراء وغيرهم  
 من الشعراء الممثلين كانوا يرون من الطبيعي والمألوف  
 أن يعرضوا للموضوعات التي سبقهم إليها القصاص  
 والمغنون ، فينشئوا فيها قصصهم التمثيلي ، بل كان من  
 الطبيعي والمألوف أن يعرض المتأخر منهم لما عرض له  
 المتقدم ، لا يجدون في ذلك حرجا ، بل يجدون فيه سبيلا  
 إلى الإفادة والإتقان . فقصّة أوديب مثلا قد عرض لها  
 إيسكولوس ثم عرض لها بعده سوفوكل ، ثم عرض لها  
 بعدها أوريبيد ، ثم عرض لها شعراء آخرون من اليونان  
 لم يجد أحد في ذلك حرجا . وهذه السُنّة التي سنها اليونان  
 قد انتقلت منهم إلى غيرهم من الأمم ؛ فالرومان في العصر  
 القديم حين حاولوا التمثيل اتخذوا أكثر الموضوعات  
 لقصصهم من التمثيل اليوناني نفسه . فقصّة أوديب مثلا

عرض لها منهم غير شاعر . وامتازت قصة سينيك Sènèque من هذه القصص التي وضعها الشعراء اللاتينيون . وجرى الأمر على ذلك بعد النهضة الأوربية في العصر الحديث ، فاستعار شعراء التمثيل من الإنجليز والألمان والإيطاليين والفرنسيين خاصة موضوعات شعرهم التمثيلي من تمثيل اليونان والرومان . وقد وضع الشاعر الإنجليزى دريدن Dryden في القرن السابع عشر قصة أوديب ، كما وضع الشاعر الإيطالى ألفيرى Alfieri في القرن الثامن عشر قصة أوديب أيضاً . أما الفرنسيون فقد فتن شعراؤهم وكتابهم بقصة أوديب منذ أواخر القرن السادس عشر إلى الآن . ولست أحصى شعراءهم الذين عرضوا لهذه القصة ، وإنما أذكر أن كورنى Corneille قد وضع قصة تمثيلية لأوديب فتن بها معاصروه ، وأن فولتير Voltaire قد وضع في أول القرن الثامن عشر قصة لأوديب كثر حولها الحديث والنقد ،



وأن شاعرين فرنسيين هما دي سيس Ducis وشينيه<sup>(١)</sup> M. J. Chénier وضعا قصتين لأوديب في آخر القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر . أما في هذا القرن العشرين فقد عني بأوديب الكاتب الفرنسي العظيم أندريه جيد André Gide في القصة التي تترجمها في هذا السفر ، كما عني به الكاتب الشاعر المعروف جان كوكتو Jean Cocteau في قصته المشهورة «أداة الجحيم» .

فأنت ترى أن السنة اليونانية التي أتاحت للشعراء ألا ينفروا مما سبقوا إليه قد أصبحت سنة أدبية إنسانية . شائعة على اختلاف العصور . وأنت ترى كذلك أن قصة أوديب وحدها قد شغلت شعراء كثيرين في الأمم المختلفة على اختلاف العصور ، وما زالت تشغل الشعراء والكاتب إلى الآن . وأكبر الظن أنها ستشغلهم دائماً .

---

(١) هو أخو الشاعر الفناي العظيم أندريه شينيه .

## ٣

ولا أكاد أذكر من القصص اليوناني القديم الذي شغل  
به المحدثون شيئاً تجاوز القرن السابع عشر والثامن عشر إلا  
قصة « أيجيني في توريس » *Iphigénie en Tauride* التي  
عنى بها جوت ، وقصصاً قليلة أخرى طفت في القرن العشرين ،  
أعظمها خطراً قصة « أوديب » هذه وقصة « إلكتر »  
*Electre* و « أمفثريون » *Amphytrion* وقد جددتها  
جان جيرودو *Jean Giraudoux* ، وقصة أنتيجون وقد  
جددتها جان كوكتو بين الحربين ثم جددتها جان أنوي  
*Jean Anouilh* في هذه الأعوام الأخيرة وهناك قصص  
تمثيلية معاصرة جددت أو حاولت أن تجدد بعض  
القصص التمثيلي اليوناني القديم ، ولكنها لم تبلغ الملعب  
أو لم تظهر فيه بفوز باهر ونجح عظيم .

ولعل المُحدثين المعاصرين يوثرون أن يشهدوا  
القصص اليوناني يعرض عليهم كما تركه أصحابه مع قليل أو  
كثير من التغيير ، إلا أن يوجد الكاتب الممتاز الذي  
يستطيع أن يدل بالقصة اليونانية على أكثر مما وصل إليه  
الشاعر اليوناني القديم ، أو أن يعرضها في شكل أشد  
ملاءمة لروح العصر الحديث .

وهذا هو الذي فعله جيرودو حين اتخذ إلكترا رمزاً  
لا للانتقام وحده كما فعل القدماء بل للعدل أيضاً . للعدل  
الذي يجب أن تبلغه الإنسانية وأن تضحي فيه بكل شيء  
مهما تكن التضحية قاسية ومهما تكن الضحية غالية ،  
والذي لا يحفل بانثلال العروش وانهيار النظم وإزهاق  
النفوس وسفك الدماء وصب الدمار على المدن ، بل يرى  
في ذلك كله إيذاناً بطلوع فجر جديد . وكما فعل جان بول  
سارتر Jean-Paul Sartre في قصة « الذباب » حين أراد



أن يجدد مأساة إلكتر فجعل أخاها هو البطل . ولم يكتف  
 بفكرة الانتقام من الأم التي خانت زوجها وقتلته ، ولا  
 بفكرة العدل التي قصد إليها ووقف عندها جيروودو ،  
 ولكنه عني بالحرية الإنسانية التي وقعت أورست موقف  
 الثائر على ذوس Zeus المعارض له ، والتي تقف الإنسان  
 الحديث موقف الثائر على كل شيء المزدري لكل شيء إلا  
 حرية التي تجعله إنسانا يوجد لعمل ما يشاء أن يعمل وليقول  
 ما يشاء أن يقول ، غير حافل إلا بنفسه ولا واقف إلا  
 عند نفسه .

إلى شيء من هذا التجديد الأساسي الخطير قصد  
 أندريه جيد حين وضع قصته التمثيلية « أوديب » مجددا  
 هذه القصة كما تركها سوفوكل ، غير واقف عندما انتهى إليه  
 سوفوكل ، ولا حافل بما بلغه كورني أو فولتير أو غيرها  
 من الشعراء والكتاب المحدثين . وقد يحسن أن نتبين

قبل كل شئ إلامَ أراد سوفوكل حين وضع قصته هذه  
 التى صور فيها مأساة أوديب ؟ وقد أضاعت الأيام ما ترك  
 إيسكولوس وأوريبيد وغيرها من الشعراء القدماء  
 حول هذا الموضوع بحيث أصبحت قصة سوفوكل هى  
 النموذج القديم الوحيد الذى ألهم المحدثين من الأوربيين .  
 وواضح أن سوفوكل إنما قصد فى هذه القصة كما قصد  
 فى أكثر قصصه الأخرى إلى ما يصور لنا صرامة القضاء  
 من جهة وحرية الإنسان من جهة أخرى ، وإلى أن يلائم  
 بين هذين الضدين المختصمين على نحو ما . فالقضاء صارم قاس  
 بالقياس إلى أوديب وإلى أبويه فى هذه القصة ، وهو صارم  
 قاس بالقياس إلى أبنائه فى قصة أخرى هى قصة أنتيجون .  
 القضاء صارم قاس لأنه قد كتب فى غير حكمة بينة  
 للإنسان على لايوس أن يموت مقتولا بيد ابنه ، وكتب  
 على چوكاست أن تقتل نفسها بعد أن تتورط فى إثمها ذاك

البشع الشنيع ، وكتب على أوديب أن يكون قاتلا لآبيه  
متزوجا لأمه مسببا لموتها فاقنأ عينيه بيده . ومن البين  
أن أحدا من هؤلاء الأبطال لم يكن حاضرا حين كتب  
القضاء ما كتب ، ولم يقترب قبل وجوده إنما يغرى به  
القضاء ويساط عليه قسوة الأقدار . فهناك إذن علة خفية  
لا يدركها الإنسان تدفع القضاء إلى أن يدبر أمر الناس  
والآلهة كما يشاء . ومن يدري ! لعل هذه العلة الخفية  
لا وجود لها ، ولعل القضاء يمضى كما يريد لا يخضع لقانون  
ولكنه على كل حال صارم قاس بالقياس إلى الآلهة والناس  
جميعا . غير أن الإنسان ليس خاضعا خضوعا كاملا شاملا  
مستسلما لهذا القضاء ، وإنما هو مستمتع بشئ من الحرية  
قد يكون قليلا وقد يكون ضئيل الاثر وقد لا يكون له  
اثر ما ، ولكنه موجود على كل حال . وآية ذلك أولا أن  
الإنسان يريد أن يعرف ما أضمر له القضاء يعمل في ذلك



عقله ويستنبى عن ذلك وحى الآلهة ؛ فهو إذن لا يخضع  
 لأحكام القضاء غير عالم بها أو غير مفترض لوجودها كما  
 يخضع لها الحيوان وكما تخضع لها الكائنات الأخرى التى  
 تأتلف منها الطبيعة . وليس قليلا أن يتلقى الإنسان  
 ما كتب له من خير وما قضى عليه من شر وهو عالم به  
 وعالم بالمصدر الذى يسوقه إليه أو يسلطه عليه .

وهناك آية ثانية على حرية الإنسان أمام القضاء ؛  
 فهو لا يطمئن إلى العلم بما كتبت الأقدار عليه ، وإنما  
 يحاول أن يخلص مما قضى عليه من الشر . وليس المهم  
 أن ينجح أو يحقق فى هذه المحاولة وإنما المهم أن يحاول .  
 فلايوس وچوكاست يعلمان أن ابنهما سيقتل أباه ويتزوج  
 أمه ، فيحاولان التخلص من هذا الشر بقتل الصبي قبل  
 أن ينمو ويقترب هذه الآثام ، ولا عليهما بعد ذلك أن  
 يفلت الصبي مما دبرا له من الموت . وأوديب يعلم بما دبر

القضاء له ، فينصر من قصر الملك في كورنت محاولاً أن يتجنب الإثم ، ولا عليه بعد ذلك أن يقتل لا يوس ، فلو قد عرف أنه أبوه لما قتله ، ولا عليه أن يتزوج چوكاست فلو قد عرف أنها أمه لما اقترن بها . وهناك آية أخرى على حرية الإنسان أمام القضاء ، وهي أعظم من هاتين الآيتين خطراً وهي التي يصورها لنا سوفوكل في قصة « أوديب ملكا » ، ولكنه يصورها تصويراً أعظم روعة وأكثر جلاءً في قصته . الأخرى « أوديب في كولونا » ، وهي أن الإنسان حين يعجز عن رد القضاء لا يرى نفسه منهزماً ولا يرى نفسه مسئولاً عما تورط فيه من الإثم . فهو يؤمن بأن التبعة يجب أن تكون نتيجة للحرية وأن يكون حظ الإنسان من هذه التبعة ملائماً لحظه من الحرية ، فأوديب تدفعه الغريزة الإنسانية الأولى كما تدفعه التقاليد الموروثة إلى أن يعاقب نفسه حين يستكشف الإثم المروع الذي تورط

فيه ، ولكنه بعد شيء من التفكير يستطيع أن يثبت للقضاء وأن يقف من الآلهة موقف المدافع عن نفسه المحتج لها ، لأنه لم يرد قتل أبيه ، ولم يقتله وهو يعلم أنه أبوه ، ولم يرد الزواج من أمه ولم يتزوج منها وهو يعلم أنها أمه . فإن كان في هذا كله إثم فليس هو المسئول عن هذا الإثم ، وإنما يسأل عنه القضاء الذي دبره والآلهة الذين ضللوا أوديب حتى تورط فيه على كثرة ما حاول تجنبه والتخلص منه . هو إذن برىء أمام نفسه ، ولا عليه أن يراه الناس بريئاً أو أن يتهمونه ويحكموا عليه . على أن أوديب لا يكتفي بذلك وإنما يريد أن يقنع القضاء والآلهة أنفسهم ببراءته ، وهو يبلغ من ذلك ما يريد ، فقد رضى الآلهة عنه آخر الأمر فأووه إلى هذه الضاحية من ضواحي أثينا ، وألقوا عليه السكينة ، وأشاعوا في نفسه الطمأنينة والامن ، وجعلوا جثته مصدر بركة للبلد الذي تدفن فيه .



وهم قد عاقبوا مدينة ثيبا فأثاروا فيها الفتنة بين الأخوين الملكين ، وحرموها هذه البركة المتصلة بشخص أوديب حين قضوا ان يموت غريباً وأن يدفن في بلد غريب .

وإذن فقد انتهت حرية الإنسان إلى شيء من الفوز .

لم تستطع أن تجنب صاحبها المحنة ولا أن تنقذه من الشر في هذه الحياة ، ولكنها قد صفت نفسه وطهرت قلبه واستخلصته من الآثام كما يستخلص المعدن النقي مما يحيط به من الخبث . فليست هذه المحنة إذن إلا تجربة لحرية الإنسان ، ووسيلة إلى تصفية نفسه وتنقية جوهره إن استطاع أن يثبت للآلام وينفذ من الخطوب .

إلى هذا كله أراد سوفوكل حين كتب قصتيه اللتين صور في إحداهما محنة أوديب ملكاً ، وفي أخراهما نجاة أوديب منفياً بئساً طريداً . ويجب أن نعرف بأن الذين أرادوا أن يقلدوا سوفوكل لم يبلغوا مما أرادوا شيئاً

فأخطر ، لا أستثنى منهم إلا المعاصرين من الكتاب الفرنسيين .

فالكاتب الشاعر الفيلسوف سينيك لم يصف إلى ما ابتكر سوفوكل شيئاً ، ولعله أضاع منه أشياء . وإذا كان لقصته شيء من جمال فأكبر الظن أنه إنما يأتيها من روعة الفصاحة اللاتينية ومن بعض الخواطر الفلسفية العابرة .

أما كورنى فقد كان مفتوناً بقصته ، ويظهر أن معاصريه منحوا قصته هذه غير قليل من الرضا والإعجاب ؛ ولكن كورنى فيما أعتقد قد أفسد قصة أوديب إفساداً عظيماً . رأى أن يلائم بين القصة وبين ذوق البيئة التي كان يكتب لها ، وقد لاحظ أن تلك البيئة لم تكن تتصور قصة تمثيلية تخلو من الحب ، ومن الحب الذي يكون له في المأساة نفسها أثر خطير . وليس في قصة سوفوكل حب أو

شيء يشبه الحب ، فاضطر كورنى إلى أن يحدث حباً ذا  
 خطر ، واضطر من أجل ذلك إلى أن ينشئ لـ لايس بنتا  
 تكبر أوديب سنًا ، وأن ينشئ بين هذه الفتاة وبين  
 ثيسيسوس Thésée ملك أثينا حباً ، وأن ينشئ بين هذه  
 الفتاة وبين أوديب خصومة حول هذا الحب من جهة  
 وحول العرش من جهة أخرى . فلم تكن الفتاة تعرف أن  
 أوديب أخوها ، وهى من أجل ذلك كانت تراه غاصباً  
 لعرش أبيها . ولم يكن أوديب يعرف أن الفتاة أخته  
 فكان يؤثر أن يزوج ملك أثينا من إحدى ابنتيه .  
 وكانت چوكاست حائرة بين بناتها الثلاث وبين زوجها .  
 والغريب أن كل هذه الخصومات حول الحب والغيرة  
 كانت تشغل الملك والملكة والحاشية والقصر كله فى  
 نفس الوقت الذى كان الوباء يعصف فيه بالمدينة  
 مصفاً شديداً ، ولا تشغل بالقصة نفسها إلا حين توشك



الفصول أن تنتهى ، هنالك تثار العقدة ويعلم الملك ومن حوله أن الآلهة غضاب ، وأن هناك مجرمًا يجب أن يتزل به العقاب ، ثم يستبين للملك أنه هو المجرم فلا يفقد صوابه ولا يأخذه الهول ، وإنما يتحدث إلى أخته في حبها للملك أثينا وفي زواجها من هذا الملك ، ثم يعصف الندم بنفسه آخر الأمر حين تموت چوكاست فيفقأ عينيه . وقد لاحظ كورنى كذلك أن البيئة التى كان يكتب لها كانت من الترف ورقة الشعور بحيث كان يسوءها أن يظهر أمامها أوديب دأى الوجه بعد أن فقأ عينيه ، فلم يُظهر الملك أمام النظارة وإنما قص آخرته وآخرة الملكة عليهم فى شعر قد يكون جميلًا رائعًا ، ولكنه لا يغنى عن الصورة الماثلة أمام النظارة شيئًا .

وقصة كورنى بعد ذلك لا تضيف فكرة جديدة إلى القصة اليونانية . ولست أدري أمن الحق أن تسمى أوديب ،

أم من الحق أن تسمى درسيه Dircée وهو اسم الفتاة التي اخترعها كورنى والتي تدور عليها القصة وعلى حبها أكثر مما تدور على أوديب وعلى محنته . وقد نقد قولتير قصة سوفوكل نقداً مفصلاً مسرف التفصيل . قاسه بمقياس العصر الذى كان يعيش فيه ، فأظهر القصة اليونانية منحلة متهاكة لا قوام لها من منطق ولا من دقة ، ولا تكاد تظفر بحظ من إتقان . ثم عطف على قصة كورنى ، فلم يعفها من النقد اللاذع الشديد . ثم أذاع قصته هو ، فإذا هى شر من قصة كورنى ، لم تضاف إلى القصة اليونانية جديداً ، ولم تظفر من الجمال اللفظى بما ظفرت به قصة كورنى العظيم . ويكفى أن نلاحظ أن قولتير قد وقع فى نفس التخليط الذى وقع فيه كورنى ، أراد أن ينشئ حباً فى هذه المأساة ؛ لأن البيئة الفرنسية التى كان الأدباء يكتبون لها كانت تريد الحب فى التمثيل . أراد أن

يلشى حبسًا إذن ، فلم يجعل للأيوس بلتًا كما فعل كورنوس ،  
ولكنه استكشف لچوكاست عاشقًا قديمًا هو فيلوكتيت  
Philoctète ، وقد عاد فيلوكتيت إلى ثيبا ليعيش قريبًا من  
عشيقته ، ولكنه يعلم أن زوجها قد قتل فيستأنف حبه  
القديم ثورة جامحة ، إلى آخر هذا العبت الذى لا يزن شيئًا  
بالقياس إلى جد الشاعر اليونانى العظيم . على أن من الحق  
أن نعتذر عن فولتير؛ فقد كان فى التاسعة عشرة من عمره  
حين أنشا هذه القصة . والشئ المحقق أن الشاعرين  
الفرنسيين قد عنيا بالبيئة أكثر مما عنيا بالموضوع ، فأرضيا  
قوما كانوا يحبون أن يلهوا ، ويكرهون أن يشقوا على  
أنفسهم بالتأمل والتفكير فضلا عن أن يشقوا على أنفسهم  
بالنظر إلى المناظر التى تؤذى شعور الغائيات المترفات .  
ولأدع ما حاول الشعراء والكتاب بعد فولتير من  
تجديد قصة أوديب لأصل إلى هذه المحاولة الأخيرة التى

أقدم عليها أندريه جيد وجان كوكتو بين الحريين . وهما قد أقدما على هذه المحاولة في وقت واحد ، لم يسبق أحدهما صاحبه ، ولم يعلم أحدهما بمحاولة صاحبه إلا بعد أن أظهر كل منهما قصته . والفرق عظيم جداً بين القصتين . فأمّا جان كوكتو فيسرف في التجديد والابتكار إسرافاً شديداً لا يدعوّه إليه تعمق الفكرة التي تدور القصة حولها ، وهى فكرة الصراع بين سلطان القضاء وحرية الإنسان ، وإنما يدعوّه إليه الفن نفسه ، الفن الخالص الذى يروع النظارة ويهرم ويحرص على أن يسحر أعينهم وآذانهم وعقولهم أكثر مما يحرص على أن يدعوهم إلى التأمل والتعمق والتفكير . فجان كوكتو ليس متهاكاً على الجذ ولا ممعناً فيه ، ولعله يبغض التقيد بأصول الفن المقررة ، فأحرى أن يبغض التقيد بقصة الشاعر اليونانى القديم . وهو من أجل ذلك يتذكر بطلاً جديداً هو أوديب ، ويحيطه

بظروف توشك ألا تستبقى من اليونانية إلا الأسماء دون الحقائق ، وهو يعقّد قصته تعقيدا ويخالف فيها بين المناظر والفصول ، لا يتقيد بوحدة في الزمان ولا في المكان ولا في الحركة ، وإنما يكتفى بوحدة الموضوع .

فقصته تبدأ منذ قتل لا يوس ، وتنتهى بعد أن يفقأ أوديب عينيه . وإذن فهي تستغرق نحو عشرين سنة . تبدأ القصة حين تعرف المدينة مصرع الملك من جهة وحين يمتحنها أبو الهول بلُغْزِه من جهة أخرى . ونحن نرى في الفصل الأول ظل الملك القتيل يظهر لبعض الجنود يريد أن يرى الملكة والكاهن ليحذرها من خطر عظيم . ونحن نرى الملكة والكاهن يصعدان إلى حيث كان يظهر ظل الملك القتيل ، فنرى ملكة شابة حلوة الدعابة خفيفة الروح ، خائفة من ظل زوجها ، خائفة من الأحداث التي يمكن أن تلم بها ، محبة مع هذا كله للحياة ولذاتها ، لا تذكره أن



تداعى الكاهن الذى يداعبها أيضاً ، ولا تذكره أن  
تلاعب الجندى الشاب الذى رأى ظل الملك القليل ،  
وتظهر ميلاً شديداً إليه .

ونحن نرى فى فصل آخر ما يكون من الصراع بين  
أوديب الفتى المغامر وبين أبى الهول . ثم ما يكون من  
انتصار الفتى . ونحن نرى فى فصل ثالث زفاف چوكاست  
إلى الملك الشاب ونشهد أول الشر ، فالكاهن محقق على  
أوديب مشفق منه ، وليس كريون أقل منه حنقا ولا  
إشفاقاً . ثم نرى نحن آخر الأمر ظهور الحقيقة ومصرع  
چوكاست ، ونرى أوديب وقد نقأ عينيه ونفى نفسه من  
الأرض وهم أن يخرج من القصر تقوده ابنته أنتيجون ،  
وإذا ظل أمه وزوجه چوكاست يظهر ، فيراه أوديب  
الضرير ولا يراه المبصرون من حوله ، ويتحدث فيسبغه  
أوديب ولا يسمعه الآخرون من حوله ، وإذا چوكاست

تنبئ ابنها بأن الموت قد طهرها من الزوجية الآثمة ولم  
يبق لها إلا الأمومة البرة ، وهي قد أقبلت لتقود ابنها  
إلى منقاه وتعينه على احتمال الغربة .

فالقصة كما ترى رائعة بما فيها من اختلاف المناظر  
وبراعة الاختراع وحسن التحدث إلى الحس والشعور .  
ويظهر أن هذا كله يرضى الجمهور الضخم من النظارة  
الباريسيين . فأما التحدث إلى العقل وأما مواجهة  
المشكلات العليا وأما الصراع بين الدين والحرية فأشياء لم  
يكن يحفل بها جان كوكتو ، ولم يكد يحفل بغيرها  
أندريه جيد ؛ فأندرية جيد متتبع لسوفوكل في مجرى  
قصته لا يخرج عن الخطة التي رسمها الشاعر القديم منذ  
خمسة وعشرين قرناً . ولكن أوديب الذي ينشئه  
أندريه جيد رجل قد تم نضجه الفلسفى بأرقى معانى هذه  
الكلمة فى القرن العشرين ، يظهر فى أول القصة مستجمعا

شخصيته كلها ، مستكلاً قوته كلها ، متحدياً للناس متحدياً  
للآلهة ، لا يؤمن إلا بنفسه ، يعلن إلى النظارة أنه رجل  
سعيد ، قد عمر أربعين سنة وملك عشرين عاماً ،  
واكتسب سعادته اكتساباً لم يرثها عن أحد . ويوشك  
هذا الاعتداد بالنفس أن يدفعه إلى الغرور ، وهو من  
أجل ذلك يخادع نفسه ويزعّم لها غير مخلص أن الآلهة  
قد أطانوه ، لا يريد بهذا الخداع إلا أن يتجنب الغرور  
الذي كثيراً ما ورط الناس في الشقاء .

فالفكرة الأساسية في قصة أندريه جيد هي اعتداد  
الإنسان بنفسه وثقته بحريته واعتماده على قدرته التي  
يمكنه من اقتحام المصاعب وتذليل العقاب . وهذا  
الاعتداد بالنفس يسوء الناس جميعاً ؛ فالجوقة التي تمثل  
الشعب ضيقة بهذا الغرور مشفقة منه على مصير المدينة ،  
ويدفعها إلى الإشفاق والخوف هذا الوباء الذي يصب على

المدينة بلاء عظيماً . وقد أخذ الشعب الذى كان مفتوناً بالملك يتطير به ويهم فى أن يكيد له بعض الكيد ليصرف إليه وحده غضب الآلهة من دون المدينة . والكاهن ساخط على الملك لأنه لا يخاص دينه للإله بل لا يؤمن بالإله . وأبناء أوديب قد اختلفت أهواؤهم : فأما الشابان فقد تأثرا بأبيهما ، فهما لا يؤمنان بشيء ولا يرجوان لشيء وقاراً ، ولا يكرهان أن يصبوا إلى أختيهما وأن يتحدثا إليهما كما يتحدثان فيما بينهما بهذه الصبوة الآثمة . أما أنتيجون وجوكاست فتأثرتان بالكاهن إلى أبعد حد ، حتى إن الفتاة لتوشك أن تهب نفسها للإله . وأما كريون فناعم بالحياة فى هذا القصر لا يحب أحداً ولا يكره أحداً ، وإنما يحب نفسه ويحب الحياة ويستمتع بما يتاح له من لذاتها ، ويحافظ على التقاليد ما وسعته المحافظة . وعقدة القصة كلها هى

الاختلاف بين أوديب الذى يمتد بنفسه حتى يبلغ الغرور وحتى يمجّد الآلهة ، والكاهن الذى يريد أن ييسط سلطان الدين وأن يسيطر من طريق هذا السلطان على كل شيء وعلى كل إنسان وعلى نفس الملاك خاصة . وليس الوباء الذى ألمّ بالمدينة وليس البحث عن مصدر هذا الوباء وليست استشارة الآلهة لتعرف هذا المصدر وليس استكشاف المجرم الذى قتل أباه وتزوج أمه — ليس هذا كله إلا مظاهر لهذا الصراع بين حرية الإنسان واعتداده بنفسه حتى يبلغ الغرور ، وبين سلطان الإله وتفوقه على غرور الإنسان .

فاذا تبينت الحقيقة وعرف أوديب أن سعادته لم تكن إلا غروراً ، وأن انتصاره على أبي الهول لم يكن إلا سراباً ، وأن ملكه الذى أسسه ونعم به لم يكن إلا امتحاناً — إذا عرف أوديب هذا كله ورأى امرأته وأمه قد قتلت نفسها



ورأى نفسه قد فقأ عينيه بيديه ، ظن الكاهن تيرسياس Tirésias أن الإله قد انتصر على غرور الإنسان ، وأن أوديب قد تاب إلى رشده ، وأذعن لسلطان الدين . ولكن أوديب لم يخرج عن كبريائه ، ولم يستسلم للمحنة ، ولم يعترف بالهزيمة ، وإنما ثبت للخطب ، بل هو لم يفقأ عينيه إلا تحدياً لنفسه وللناس وللألم ، ومحاولة لبناء مجد جديد من طراز آخر معنوى غير هذا المجد الزائل الذى كسبه حين قهر أبا الهول وأسس الملك . وهو حين ينفى نفسه من الأرض لا يفارق المدينة منهزماً ولا مخذولاً ، وإنما يفارقها يائساً . لم يقهر اليأس نفسه ، وإنما رفعها فوق الناس وفوق أعراض الحياة . وهو ينصرف ساخراً من الشعب الذى أحبه ثم كرهه ثم أخذ يتملقه حين عرف أن بركة الآلهة متصلة بشخصه ، وينصرف ساخراً من كريون المحافظ الذى يرى الملك كل شئ ، وينصرف ساخراً من ابنه

الذين لا يفكران في الحياة إلا على أنها وسيلة إلى المتاع ،  
وينصرف ساخرًا من الكاهن الذي يعظه ويريد أن يحمله  
على الندم ؛ فهو لا يرى أنه قد فعل شيئًا يمكن أن  
يندم عليه .

هذه هي القصة التي وضعها أندريه جيد ، وهي كما ترى  
قريبة جدًا من القصة اليونانية في موضوعها وفي غايتها ،  
بعيدة جدًا من القصة في صورتها من ناحية وإن  
احتفظت بالجوقة وفي إتقانها للتفكير وتجنبها للتكلف  
الشعري الغنائي الذي قد يروق ويعجب ، ولكنه لا يغني  
عن التفكير العقلي شيئًا .

ولست أدري أخطئ أنا أم مصيب ، ولكني أعتقد  
أن هاتين القصتين : قصة سوفوكل وقصة أندريه جيد  
هما وحدهما اللتان تشهدان بأن محنة أوديب خليفة حقًا  
بأن تكون موضوعًا للتفكير الذي يغذو العقل ، والفن

الذى يغزو القلب ، وبأن تكون من اجل ذلك صالحة  
لتفكير الفلاسفة وابتكار الأدباء على مر العصور  
واختلاف الأجيال .

وقد يكون مما تمتاز به قصة أندريه جيد من القصص  
الأخرى التى حاولت تجديد القصة اليونانية أنها لم تقف  
عند قصة أوديب ملكا ولكنها أملت من قريب جداً  
بالقصة الثانية التى وضعها سوفوكل وهى قصة أوديب  
فى كولونا .

وكان إلمامها بهذه القصة رائعاً حقاً ، لا أكاد أعرف  
شيئاً يشبهه فى جمال الإيجاز ودقته وكفايته بحيث  
يستطيع قارئ هذه القصة أن يستوعب أمر أوديب كله  
فى غير مشقة ولا جهد .

فقصة أوديب ملكا تنتهى حين تموت چوكاست ويعاقب  
أوديب نفسه ويعلن أنه سيهاجر من وطنه . وقد رضى

كريون عن هذه الهجرة ، وابتهج بها الشعب ، وسكت عنها ابنا أوديب الطامعان في الملك اللذان اتفقا قبل أن يمتحن أبوهما على أن يكون الملك دولةً بينهما ، وأزمنت أنتيجون أن تصبح أباهما في منفاه ، وقررت إسمين أن تلحق بهما بعد قليل . ولكن الكاهن يعلن فجأة أن الآلهة قد أوحوا إليه أنهم يصلون البركة بشخص أوديب ويكتبونها للأرض التي يدفن فيها بعد موته ، وإذا كل شيء يتغير إلا رأى أوديب ، فكريون يطلب إليه البقاء ملحاً في طلبه ، والشعب يطلب إليه البقاء متملقاً مترضياً ، ولكن أوديب يسخر من إلحاح كريون وتملق الشعب وتوسل الكاهن ، ويمضي إلى منفاه ساخراً من هؤلاء جميعاً .

وفي هذا الحوار القصير اليسير يوجز أندريه جيد خير ما في القصة اليونانية الثانية بحيث يخرج القارئ من قصة

أندريه جيد وقد عرف من أمر أوديب كل شيء : عرف  
 بدء القصة ونهايتها ، وعرف مكر الآلهة وغرور أوديب ،  
 وعرف المحنة والمقاومة ، ثم عرف عفو الآلهة وانتصار  
 الإنسان .

## ٤

والظاهر أن أندريه جيد قد فكر في قصة أوديب  
 قبل أن يحاول إنشاءها بوقت طويل ؛ فهو معنى بأساطير  
 اليونان يطيل التفكير فيها والحديث عنها ، ويلفته إليها  
 بنوع خاص أنها مهما تكثر فيها الأعاجيب وخوارق  
 العادات ومخالفة المؤلف من قوانين الطبيعة تنهى دائماً إلى  
 شيء من المنطق يردها إلى العقل ، وإلى ما يحمل العقل على  
 التروية والتفكير فيما يفسر حياة الإنسان أو يتصل  
 بمصيره أو بموقفه من القضاء .

نراه يكتب في ذلك بعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى  
سنة ١٩١٩ .

ثم نراه ينشئ قصة أوديب نحو سنة ١٩٣٠ ، فإذا  
كانت الحرب العالمية الثانية وهاجر إلى إفريقيا  
الشمالية نراه ينشئ قصته الثانية التي تترجمها مع قصة  
« أوديب » وهي قصة « ثيسوس » . وهو ينبئنا في  
إهداء هذه القصة بأنه كان يفكر في كتابتها منذ  
زمن طويل . والواقع أنه يتحدث عن ثيسوس  
وأسطورته في مقاله الذي أشرت إليه آنفاً والذي كتب  
سنة ١٩١٩ ، فهو إذن يفكر في هذه القصة الثانية قبل  
أن يكتبها بأكثر من عشرين سنة . والتفكير في هذا  
البطل الاثيني لا يستقيم عند أندريه جيد كما أنه لا يستقيم  
عند سوفوكل دون التفكير في أوديب . وحسبك  
أن تذكر أن أمر أوديب قد انتهى في القصة الثانية



من قصتي سوفوكل بالتجاء البطل الممتحن إلى أتيكا  
 والتماسه الأمن والجوار عند الملك الاثيني ؛ فقد كان  
 الشاعر اليوناني إذن يقرن أحد البطلين إلى صاحبه .  
 وكذلك صنع أندريه جيد ، فسترى في آخر قصة ثيسيوس  
 حديثاً بين البطلين حين التقيا يدور كله حول مصيرهما .  
 والواقع أن هذين المصيرين يختلفان أشد الاختلاف ،  
 ولكن كلا منهما يدعو على ذلك إلى التفكير في الآخر .  
 فقد أتيح الفوز للبطل الاثيني منذ نشأته الأولى ،  
 وأتيح له على نحو متصل حتى كانت حياته كلها فوزاً لم  
 يعرف فيها الشقاء إلا قليلاً ، على حين بدأت حياة أوديب  
 شقية مملوءة بالحن ، ولم يكن ما أتيح له من السعادة  
 إلا غروراً .

على أن آخرة الرجلين تختلف أشد الاختلاف : فاما  
 أعظمهما حظاً من الشقاء وهو أوديب ، فقد مات راضياً

عن نفسه وعن الآلهة ، مطمئناً إلى هذه السكينة التي  
 أنزلت على قلبه . وأما أعظمهما حظاً من السعادة وهو  
 ثيسئوس فقد أتفق آخر أيامه منفيًا طريداً ، تفتته الثورة  
 عن وطنه ، ولم يجد عند الملك الذي استجار به مثل ما  
 وجد عنده أوديب من الثقة والأمن ، وإنما وجد عنده  
 المكر والغدر والموت . فلاغربة إذن في أن يفكر أندريه  
 جيد كما فكر سوفوكل في الرجلين معاً . ولا غربة إذن  
 في أن نجمع ترجمة القصتين في سفر واحد ، وإن لم يفعل  
 ذلك أندريه جيد ؛ لأنه قد أتفق أكثر من عشر سنين  
 بين إنشائه لهاتين القصتين .

على أني حين تحدثت إليه في الجمع بينهما في سفر واحد  
 رضى عن ذلك كل الرضا . وقد عرفت منه في باريس أنه  
 أشار على مترجمه الأمريكى بأن يصنع نفس هذا الصنيع ؛  
 لأن القصتين تصدران عن تفكير واحد وعن موقف

واحد أمام مشكلات الحياة . ومع ذلك فبين القصتين اختلاف عظيم في الصورة الفنية : إحداهما تمثيلية كتبت للمسرح ، على حين أن الثانية نوع من المذكرات يقص فيها البطل الاثنى علينا حياته التي ملأتها المغامرة في ألوان من الدعابة الحلوة أحياناً والجد المر أحياناً أخرى .

ولا يشك قارئ القصتين في أن أولاهما قد كتبت حين كان أندريه جيد قوياً سعيداً موفوراً مستكلاً شخصيته كأحسن ما يستكمل الكاتب شخصيته . كان في الستين من عمره ، أو لم يكن قد جاوز الستين إلا قليلاً ، كان سعيداً بين أهله وأصدقائه ، راضياً عن نفسه وراضياً حتى عن مكر الناس به وكيدهم له وانتقاض بعضهم عليه . أما القصة الثانية فقد كتبها بعد أن جاوز السبعين ، بعد أن فقد زوجه وكثيراً من أصدقائه ، وبعد أن خضع لألوان من

الآزمات النفسية ، وبعد أن ذاق وطنه الهزيمة ، وذاقها هو أشد ما يكون ذوقها مرارة ، وكتبها منفيًا عن وطنه لا يعرف متى يعود إليه ، بل لا يعرف أيتاح له أن يعود إليه . فهو مجاهد معاند متجدد للأحداث والخطوب حين يكتب قصة « أوديب » ، وهو هادي مطمئن حزين باسم مع ذلك للأحداث والخطوب ساخر منها ، مؤمن بنفسه واثق بوطنه ذائق حلاوة الصداقة حين يكتب قصة « ثيسوس » .

ولذلك نرى أوديب يفرض نفسه على الأيام ويتحدى الآلهة ويعاند القضاء ، ويخرج من المحنة ظافراً يريد أن ينسى الماضي وألا يفكر إلا في المستقبل ، ونرى ثيسوس قانعاً راضياً مطمئناً لا يفكر إلا في الماضي يستحضر منه اليسير والخطير ، ويجسد اللذة في استحضار ما يستحضر يتحدث به إلينا أو إلى نفسه ، مستمتعاً بهذا الحديث قبل

أن نستمع به نحن ، لا يفكر في المستقبل ولا يريد أن يفكر فيه ؛ فهو لا ينتظر مستقبلاً لأن حياته قد أشرفت على غايتها . وأنت تجد هذا الحزن المظلم في الأسطر الأولى من القصة حين ينبئك بأنه كان يريد أن يقص حياته ليجد فيها ابنه موعظة وعبرة وتعلماً ، ولكن ابنه قد مات ، وهو يقص حياته مع ذلك ؛ لمن يقصها ؟ لنفسه أولاً ، ولأن شاء أن يقرأها من الناس بعد ذلك . فهو قد تقدمت به السن ، وسبقه أكثر أصدقائه وأحبائه إلى الموت ، فأصبح عسير نفسه ، لا يستطيع إن أراد أن يسرى عنها إلا أن يقص عليها ما كان له في صباه وشبابه وكهولته من الأحداث ، وما مر به من الخطوب وما تعرض له من المغامرات ، يحيا في وقت قصير حياته الطويلة ، ويجدد بالذكرى ما اختلف على نفسه من لذة وألم ، ومن أمن وخوف ، ومن أمل ويأس .

وهو ينتهى آخر الأمر بالموازنة بين حياته وحياة صديقه أوديب ، فيرى بعد التفكير الطويل أنه كان أسعد من صديقه حياة وأحسن حظاً ؛ لأن أوديب قد انتهى إلى الزهد فى الحياة والنفور منها والفرع إلى هذا العالم الداخلى يجد فيه الأمن والرضا على حين لقى هو الحياة كما عرضت على الأحياء ، ولعب بالأوراق التى أتاح القضاء للناس أن يلعبوا بها . يتس أوديب من الناس واستيقن آخر الأمر أنه لن يجد عندهم خيراً ولن يقدم إليهم خيراً ، ووثق هو بالناس واستيقن آخر الأمر أن الحياة النافعة القيمة هى التى لاتنتهى إلى الجذب ، وإنما تنتهى وقد تركت من ورائها آثاراً يدوم انتفاع الناس بها وذكركم لها وثنائهم على صاحبها .

وقد امتازت هذه القصة بما سترى فيها من هذه الدعابة الحلوة والسخرية الهادئة ؛ فالبطل الاثنى يعرف



الناس كما يلبغى أن يعرفوا : يعرف قوتهم ويعرف ضعفهم ،  
 ويعرف أن هذه القوة كثيراً ما تقوم على الضعف نفسه .  
 قيل له إنه ابن الملك وتحدث الناس بأنه ابن إله البحر ،  
 فهو يعتز بهذين النسبين : يعتز بنسبه إلى أبيه ليمالك أثينا ،  
 ويعتز بنسبه إلى الآلهة ليمالك قلوب الناس ويسحر عقولهم .  
 وهو فيما بينه وبين نفسه يكاد يقطع بأنه ليس ابن هذا  
 ولا ذاك ، وبأن أباه غير معروف ؛ فقد يحدثنا  
 بلوتارك بأن كثيراً من هؤلاء الأبطال كانوا يولدون  
 لغير أب معروف فينتسبون إلى الآلهة ، ولا ينكر  
 الناس من نسبهم شيئاً لحسن بلائهم ولما يحققون من  
 عظام الأمور .

ويحدثنا ثيسیوس بأنه قتل رجلاً كان يظن به السوء  
 وقطع الطريق ، ثم تبين بعد ذلك أنه كان رجلاً خيراً نفاعاً  
 للناس ، فكاد يندم على قتله ؛ ولكن الشعب حين عرف

أنه هو قاتله ، لم يتردد في أن يقرر أنه كانت مجرماً أثماً .  
وكذلك تدعن الشعوب ملوكها وتسبق إلى التماس المعاذير  
لهم حين يخطئون .

وما أكثر ما نرى في هذه القصة أخلاق أندريه جيد  
نفسه ، فأبغض شيء إلى ثيسايوس أن يقيد نفسه بما يمنعه  
من العمل ومن التقدم إلى أمام ؛ فهو يحب ولكن  
بشرط ألا يمسه الحب عند خلية بعينها ، وهو يصادق  
ولكن بشرط ألا تقفه الصداقة عن أن يمضي لما يريد ،  
وهو من أجل ذلك يتخاص من أريان Ariane بعد  
أن نجته من اللابيرانت labyrinth ويؤثر عليها أختها ،  
كما أنه لا يحفل بمشورة صديقه بيريتوس Pirithoüs  
ولا يقف عند رأيه ، وإنما يمضي لما أراد غير حافل  
بفقدان الصديق الذي أوشك أن يرفقه مما يرى  
فيه خيراً .

كل شيء في هذه القصة يصور حرص الملك على أن يحقق نفسه ويعتمد عليها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ينفع الناس ولكن لا يعنيه أن يرضى الناس عنه أو يسخطوا ، بل هو لا يكره أن ينفعهم على رغبتهم . وإذا كانت قصة أوديب تصور الشخصية القوية المجاهدة المعاندة التي لا تؤمن بشيء كما تؤمن بالحرية ، ولا تحرص على شيء كما تحرص على الحرية ، ولا تعرف الهزيمة ولا تدعرك للخطوب ، فقصة ثيسبيوس تصور الشخصية القوية التي جاهدت وعاندت وانتصرت على الأحداث والخطوب حتى إذا بلغت آخر الشوط نظرت إلى وراء بعد أن لم تكن تنظر إلا إلى أمام ، فرضيت عن نفسها وحمدت بلاءها ، وانتظرت الموت آمنة مطمئنة .

والقصتان تنتهيان إلى غاية واحدة ، ولكنها في الوقت نفسه مختلفة : فقد مات أوديب راضياً ومات

ثيسوس راضياً أيضاً ، ولكن أحدهما وجد الرضا في العالم الداخلى الفلسفى ، على حين وجد الآخر هذا الرضا فى العالم الخارجى الإنسانى . وما أعظم الفرق بين رضا مصدره اليأس من الناس ورضا مصدره الثقة بالناس

طه حسين

آثرت فى هذا الكتاب إيراد الأسماء اليونانية كما ينطقها ويرسمها الفرنسيون . ويرى القارئ فى آخر الكتاب تبيناً لما قد يحتاج إلى تبين من هذه الأسماء .

اُودیب





## الفصل الأول

« اتد مليء العالم بالمعجزات ، ولكن  
لا أشد إجازا من الانسان . »

[ سوفوكل من حديث الجوقة في قصة أنتيجون ]

### أوديب

هانذا أحضر وقد استجمعت شخصيتي كاملة في هذه  
اللحظة من لحظات الزمان السرمدي ، أشبه شيء بشخص  
يتلهم على مقدمة المسرح قائلا :

أنا أوديب ، قد عمرت أربعين سنة ، وملكيت عشرين  
عاماً ، وبلغت بقوة ذراعى قمة السعادة . لقد كنت لقيطاً  
لا يُعرَف له أصل ، ولا يحمل ما يثبت شخصيته ، وأنا  
الآن أسعد الناس بأنى لست مديناً بشيء للإنسان . لم  
توهب لى السعادة ، وإنما أخذتها قسراً . وأنا من أجل  
ذلك عرضة للغرور . وقد أردت أن أتجنبه ، فسألت  
نفسى ألم يكن فى أمرى أثر للقضاء والقدر ؟ أعمد بهذا  
السؤال إلى أن أعصم نفسى من دوار الكبرياء هذا الذى  
تزلّ له أقدام كثير من أبعد القادة صوتاً وأعظمهم  
امتيازاً . . . هلمّ ! هلمّ ! يا أوديب ! لا تغامر بنفسك  
فى كلام طويل توشك ألا تحسن الخروج منه . قل فى يسر  
ما تريد أن تقول ، ولا تشع فى ألفاظك هذا الورم الذى  
تحرص على أن تتقيه فى حياتك . كل شيء يسير ، وكل  
شيء يأتى فى إبانة . فكن يسيراً وكن صائباً كالسهم .

إمض إلى غايتك في غير عوج ولا التواء ... وهذا يردني  
إلى ما كنت أقول آنفاً . نعم ! إذا ظننت أحياناً أنى صنيعه  
الآلهة ، ومصدر ذلك رغبتى فى التواضع والاعتدال ، وفى  
أن أرد إليهم فضل ما كتب لى من تفوق ، فمن العسير ألا  
يتعرض مثلى للغرور والكبرياء . وسبيلى إلى القصد أن  
أزعم أن فوقى قوة مقدسة أخضع لها راضياً أو كارها .  
ومن ذا الذى لا يُدعن مطمئناً لقوة مقدسة ترقى به إلى  
حيث بلغت ! إن إلهاً يقودك يا أوديب ، وليس فى  
الأرض اثنان يشبهانك . بذلك أحدثت نفسى فى أيام  
الآحاد والأعياد ، فأما فى سائر الأيام فإننى لا أجِد الوقت  
للتفكير فيه . وما أنا وهذا كله ؟ إنى لسيء التفكير ،  
ليس حسن المنطق من خصائصى ، وإنما أنا أصدر دائماً  
عن الحَدَس . من الناس من يسأل نفسه فى كل فرصة ،  
وفى كل موطن تزدهم فيه العربات : أيجب أن أتأخر ؟

أمن حتى أن أمضى إلى أمام ؟ أما أنا فأمضى في حياتي كأن  
إلهًا يرشدني إلى ما أريد .

الجوقة في مقدمة المسرح وقد انقسمت  
قسمين ، أحدهما عن يمين والآخر عن شمال

الجوقة [ بقسمها ]

نحن الجوقة ، التي كُلِّفَتْ في هذا المكان أن تمثل  
رأى-أضخم عدد ممكن من الناس ، نعلن دهشنا وحزنا  
أمام هذه الشخصية الممعة في إيمانها بنفسها . فهذا الشعور  
الذي يظهره أوديب لا يقبل من غيره إلا إذا ألقى من  
دونه حجاب .

وليس من شك في أن من الخير للإنسان أن يترضى  
الآلهة . ولكن أقوم السبل إلى ذلك أن ينداز إلى رجال  
الدين . وإن أوديب ليحسن إذا استشار تيرسياس ،

فهو الذى يمسك إرادة الآلهة . إن أوديب ليظهر العناية بنا وهو يوشك أن يغضب الآلهة علينا ، ولعله أن يكون مصدر هذه الآلام التى تبهظنا الآن [ فى صوت خافت ] سنشتري رضاهم ببعض الضحايا التى لا يرتفع ثمنها وبعض الصلوات التى يحسن توجيهها ، وسنباعد ما بيننا وبين ملكنا فنحوّل إليه وحده العقاب على هذه الكبرياء التى تستوجب العقاب .

### جوقة الممين [ إلى أوديب ]

لا يشك أحد فى أنك سعيد وإن كنت تسرف فى إعلان هذه السعادة ، ولكننا نحن لسنا سعداء . نحن شعبك . أى أوديب نحن شعبك لسنا سعداء . وددنا لو نخفى هذا عليك ، ولكن هذه القصة لن تأخذ دأريتها إلا إذا حدثناك بنبأ مروّع . إن الطاعون ، مادام يجب

أن نسميه باسمه ، مازال ماضيا في دفع المدينة إلى الحداد .  
وقد عوفيت منه أسرتك إلى الآن ، ولكن من الملائم  
ألا يغضى الملك عما يصيب أمته من الرزايا وإن لم يصبه  
منها طرف .

### جوقة الشمال

على أننا لا نكاد نشك في أن بين سعادتك وشقائنا  
صلة خفية ، بذلك تلمح لنا احاديث تيرسياس . ومن الخير  
أن نتعرف جلية الأمر فيه . سينبئنا بذلك أبوثلون ،  
فأنت قد أرسلت الرجل الكريم كريون صهرك إلى معبد  
الآله ، وسيعود إلينا عما قليل بما ننتظر في لهفة من  
جواب الوحي .

أوديب

ها هو ذا متبارزا !

بدخل كريون

أوديب [ إلى كريون ]

وإذن ؟

كريون

أليس من الخير أن نتحدث منفردين ؟

أوديب

ماذا ؟ إنك تعلم أنني أزدري الرياء والخواطير  
المستورة فستقول إذن كل شيء أمام كل الناس . إلى  
ذلك ادعوك ، بل بذلك آمرك . من حق الشعب أن  
يعلم كما أعلم أنا كل ما من شأنه أن يدفع عنه الضرر .  
على هذا النحو وحده يستطيع أن يعينني على دفع البلاء .  
ماذا قل الوحي ؟



## كريون

بالضبط هو ما كنت أخاف ، وهو أن في المملكة  
شيئاً قد شمله الفساد .

## أوديب

قف . ليس محضر الشعب كافياً . يجب أن تُدعى إلى  
هذا المكان أختك چوكاست وأبناؤنا الأربعة .

## كريون

إسمع لي ، إني أحمد لك دعاء چوكاست ؛ فأنت تعلم  
أن شعور الأميرة شديد السلطان على نفسي ، وهي مع ذلك  
تستطيع أن تشير علينا فتحسن المشورة . أما الفتية فيخيل  
إليّ أنهم أصغر سنّاً من أن يشاركوا في هذا الحديث .

## أوديب

ليست أنتيجون طفلة . أما إتيوكل وبولينيس فهما كما  
 كنت في سنهما ، ليسا غبيين وفيهما جراءة وإقدام ، فمن  
 الخير أن ندعوها وأن نشغلها ببعض الهمة ، أما إسمين فلن  
 تفهم شيئاً .

تدخل چوكاست وأبناء أوديب الأربعة

## أوديب [ إلى چوكاست ]

إن أخاك قادم من پيتو<sup>(١)</sup> . وقد أردت أن تكونوا  
 جميعاً حولي ؛ لنسمع جواب الآلهة . هلم يا كريون ،  
 تحدث الآن : ماذا قال الوحي ؟

## كريون

قال إن الآلهة لن يحول غضبه عن ثيبا حتى يثار للأيوس .

أوديب

يشار له من ماذا ؟

كريون

ألا تعلم أن الذي تخلفه في سرير أختي چوكاسيت وعلى  
العرش قد مات مقتولا ؟

أوديب

أعلم ذلك ، ولكن لم يعاقب الجرم ؟

كريون

لم تستطع الشرطة أن تأخذه . بل يجب أن نعرف  
بأن البحث عنه لم يتصل .

أوديب [ إلى چوكاست ]

لم تنبئني

چوكاست

لقد كنت تقاطعني يا صديقي كلما حاولت أن أتحدث  
إليك . وكنت تصيح : كلاً لا تحدثني عما مضى ، فلست  
أريد أن أعلم من أمره شيئاً . لقد بدأنا عصراً ذهبياً . كل  
شيء يتجدد . . .

كريون

وكانت كلمة العدل إذا نطق بها فمك تؤدي معنى العفو .

أوديب

لو كنت أعرف الخنزير الذي . . .

## چوكاست

هوښ عليك يا صديقي ! هذا تاريخ قديم . لا تمسده إلى  
ما مضى .

## أوديب

كلّا لن أهوّن على نفسي ، بل أنا أريد أن أعلم من  
ذلك . أقسم بالجحيم لن أنتهى حتى أظفر بالمجرم . سألتسه  
حيثما يكون وأقسم إنه لن يفوتنى . كم مضى على ذلك  
من وقت ؟

## چوكاست

كنت أيمّا منذ ستة أشهر حين خلقت لا يوس ، وقد  
مضى على ذلك عشرون عاما .

أوديب

عشرون عاما في حياة سعيدة . . .

تيرسياس

. . . وهي أمام الإله كيوم واحد .

وقد دخل تيرسياس مع أنثيجون وإسمين دون  
أن يلحظ . وهو ضريّر قد اتخذ لباس الكهنة

أوديب

يا للآلهة ! إن هذا الرجل لثقيل ! يقحم نفسه دائما  
في أمور الناس . من طلب إليك الحضور ؟

چوكاست [ إلى أوديب ]

يا صديقي لا ينبغي أن تتحدث على هذا النحو أمام

الصغار . فمن الخطأ أن تنقص من سلطان الرجل الذى  
اتخذناه لهم مربياً وأستاذاً والذى يجب أن يرافقهم دائماً .  
[ ملتفتة إلى تيرسياس ] . كنت تقول . . .

تيرسياس

لا أريد أن أسوء الملك .

أوديب

لا يسوءنى ما يقال ، بمقدار ما يسوءنى ما تضره  
النفوس ولا تقوله الألسنة . تكلم .

تيرسياس

سنتحدث منفردين يا أوديب عن سعادتك . . . عما  
تسميه السعادة . أما الآن فالأمر يعنى شقاء الشعب . أى

أوديب إن الشعب يألم ولا يمكن للملك أن يجهل هذا الألم .  
 إن الإله ينشئ صلة خفية بين السعادة التي تتاح لقليل من  
 الناس والشقاء الذي يُفرض على أكثرهم . إن اسم الإله  
 يتردد كثيراً على لسانك يا أوديب . وما ينبغي أن ألومك  
 في ذلك ، وإنما ألومك في أنك تتخذ من الإله مُقِرّاً  
 لعملك لا قاضياً لك ، وفي أنك لا تضطرب أمامه خوفاً .

### أوديب

لم اكن قط ما يسميه الناس هتيابا .

### ثيرسياس

كلما عظمت شجاعة الإنسان أمام الناس اشتد رضا  
 الإله حين يراه خائفاً أمامه مضطرباً من الخوف .



## أوديب

لو أنى اضطربت أمام أبى الهول لما استطعت أن  
أجيبه ولا أن أصير ملكا .

## الجوقتان

أى أوديب ، أى أوديب ! عبثا تحاول . إنك لتعلم أن  
أحدأ لا يستطيع أن يستأثر بالكلمة الأخيرة دون  
تيرسياس ، وإن كان ملكا .

## الجوقة الأولى

لقد قهرت أبا الهول ، ولكن تذكر أنك أبيت فيما  
بعد ذلك أن تحفل بزجر الطير .

### الجوقة الثانية

ولما كانت هذه تَوْرُقُ نومك ، فقد دفعتنا إلى الإثم  
حين أذِنت لنا في صيدها على الرغم من تحريم تيرسياس  
لهذا الصيد .

### الجوقتان

لقد كنا نتخذ من الطير طعاماً شهياً ، ولكننا لم  
نلبث أن تبينا الخطيئة حين رأينا الإله الساخط يسلط  
الدود على زراعتنا .

### الجوقة الأولى

وإذا كنا قد أخذنا أنفسنا بالصوم في ذلك العام ،  
فإنما أردنا التكفير عن خطيئتنا .

## الجوقة الثانية

ولأننا لم نكن نوجد ما نأكل .

## الجوقتان

ولذلك فنحن على إشارتنا طاعتك ننصح لك بالإصغاء  
إلى ما يقوله تيريسياس .

## أوديب [ إلى أبيه ]

إن الشعب يؤثر دائماً تفسير ما يعرض له من الأحداث  
بالأسرار الغامضة على تفسيرها بأسبابها الطبيعية ، ليس  
إلى تغيير هذا من سبيل [ إلى تيريسياس ] هَلُمَّ ! امض  
في حديثك .

## ثيريسياس

تستطيع شرطة الملك أن تبحث عن مجرم ، ولكن  
إلى أن تجده أرجو أن تأخذوا جميعاً أنفسكم بالندم ،  
فكلكم خاطيء أمام الإله ولن نستطيع أن نتصور إنساناً  
قد برئ من الخطايا . فليعكف كل منكم على نفسه ،  
وليحاسب ضميره ، وليندم على ما قدمت يداه . وفي  
أثناء ذلك سنقدم من الضحايا ما يهدى من غضب الإله  
الذى يمتحن المدينة بهذا البلاء . لقد جلّ عدد الموتى  
عن الإحصاء ، ويستطيع پولينيس الذى كان يسايرنى آنفاً  
والذى رأى ما لم أكن أرى أن ينبئك بذلك .

## پولينيس

أجل يا أبت ! لقد رأينا غير بعيد من القصر جماعة من

المطعمونين قد دنسهم البراز والقيء وهم يتلوون من الألم  
ويعين بعضهم بعضا على الموت ، وكان الجو من حولهم  
يضطرب بما يبعثون من حشرجة وأنين ، ومن زفرات  
ونظرات . . .

كليون

حسبك ! حسبك ! . . .

إسمين يأخذها الانحاء

أوديب

هذه الصبية يغشى عليها الآن .

إتيوكل [ إلى پولينيس ]

ما كان لك أن تقص هذا كله أمام أختك .

أوديب [ إلى چوكاست ]

أرجو أن تخرجني هؤلاء الصبية .

يخرجون ومعهم تيرسياس

لينصرف الشعب فإني أريد أن أخلو للتفكير .

يبقى اوديب ومعه كريون

كريون

متناقض كغيرك من الذين يرسلون أنفسهم على  
سجاياها . ما نفع هذا القسم الذي أقسمته آتفا ؟

أوديب

أي قسم ؟

كريون

أترى؟ لقد أنسيته ولكن الشعب، ولكن أبناءك  
لن ينسوه، وما زال تيرسياس قادراً على أن يذكرك به .  
لقد أقسمت لتتأرن للملك .

أوديب

هذا حق . لماذا لم يحاكم المجرم؟

كريون

لقد طويت القضية .

أوديب

من الذى طواها؟

## كريون

أنا الذى طواها أولاً حين كنت وصياً على العرش .  
فقد رأيت من الخطأ أن ألفت إليها الشعب وأن ألقى فى  
روعه أن الملك يمكن أن يقتل كغيره من الناس .

## أوديب

نعم ! ولكنه يعلم ذلك الآن .

## كريون

ولم ترد چوكاست أن يجرى التحقيق لأنها رأت فى  
كثير من الحكمة أن أول عهدك بالملك لا ينبغى أن  
يشيع فيه الظلام .



## أوديب

لقد حرصت چوكاست دائماً على أن تحوط سعادتي .  
 إنها كاملة ، چوكاست . أيّ زوج هي ! أيّ أمّ هي !  
 أما أنا فلم أعرف أمي قط وإني لأحب چوكاست حب  
 البنوة والزوجية معاً . قل لي . أكانت تحب زوجها  
 الأول ؟

## كريون

أقل مما تحبك من غير شك .

## أوديب

قل لي أيضاً . . . ألم يولد لها الولد ؟

كريون

هذه قصة أخرى . لست أدري أمن حتى أن  
أقصها عليك . . .

أوديب

لم يكن من حقلك أن تشير إليها فأما وقد فعلت ، أما  
الآن فأريد أن أعلم .

كريون

إذن فهناك القصة : لم يكونا يريدان الولد ، لأن  
الوحي . . .

أوديب

الوحي أيضاً . . . ؟

## كريون

... تنبأ بأن لا يوس سيموت مقتولا بيد ابنه .  
ولكن في ليلة من ليالى الحب الذى لاحذر فيه ...

## أوديب

لقد فهمت عنك . وماذا كان من أمر هذا الطفل  
الذى أنتجته الهيام ؟

## كريون

كان غلاما لم يكد يولد حتى دُفع إلى راع كُلف  
هذه المهمة الحزينة ، مهمة إلقائه على الجبل حيث التهمته  
الوحوش الضارية .

أوديب

ألا يزال هذا الراعى حيا ؟

كريون

إنك لتسرف على فى السؤال . أتريد نصيحتى ؟ لا تشق  
نفسك بهذا . وعش سعيداً .

أوديب

مع هذه الشوكة فى وسادتى أخشى ألا يتاح لى النوم  
منذ الآن . على أنك قد سمعت أن الإله يطلب عقاب القاتل .

كريون

أيها العزيز أوديب إن الوعى الذى يسيغه الشعب

لا ينبغي أن يخيفنا نحن الحاكين . ينبغي أن نتخذ منه وسيلة لتقوية السلطان ، وأن نقوله كما نشتهي . لقد أنبأنا بأن لايوس سيموت مقتولا بيد ابنه ، فقد هلك هذا الابن ولم يمنع ذلك من قتل لايوس . ولو قد عاش لما أتيح لك أن ترقى إلى عرشه . فلا تشق نفسك بموته ولا تكلفها العناء لتعلم كيف مات . إن كان بعض الناس قد قتله فإنما فعل ذلك من أجلك . لقد هيا لك الفرصة ، فما ينبغي لك أن تعاقبه ، وإنما يجب عليك أن تحسن إليه .

أوديب

ولكن ما عسى أن يقول تيرسياس .

كريون

أتخافه ؟

## أوديب

لا أكاد أخافه ، ولكن الشعب يسمع له ، وربما أثار  
صوته في نفسى بعض الاضطراب . نعم ! جرس صوته  
كأنه يخرج من الجحيم . ها هو ذا مقبلا من جديد . إنه  
ليسعى دون أن يسمع خطوه . ماذا تريد يا تيرسياس ؟

دخل تيرسياس

## تيرسياس

أى أوديب إن الملكة تريد أن تتحدث إليك . إنها  
تنتظرك فى القصر .

أوديب يبتعد . تيرسياس إلى كرىون

إنما أردت أن أخلو إليك ، لقد سمعت كل ما قلتما .

كريون .

أكنت تسمع ؟

تيرسياس .

لست في حاجة إلى أن أسمع لأسمع . إني أعرف  
ما يجول في النفس قبل أن أسمع صوت المتكلم . أي  
كريون ليس من الخير أن تطمئن أوديپ .

كريون

ماذا تريد أن تقول ؟

تيرسياس

أريد أن أقول إنه يسرف في الاطمئنان ، وإن نفسه

كالإبناء المطبق لا سبيل إلى أن يبلغها الخوف . وإن  
سلطاني كله إنما يأتي من خوف الإله . إن هذه السعادة  
المطمئنة آثمة . إن عليك أن تحدث فيها صدعا .

### كريون

لماذا ؟

### تيرسياس

من هذا الصدمع يصل الإله إلى قلبه . إن بولينيس  
وإتيوكل يفلتان مني . إن شعوري بذلك يزداد من يوم  
إلى يوم . ستنبئك بذلك چوكاست . إنهما يتأثران أباهما  
ويريان أن من الممكن أن يتحررا من هذا السلطان الذي  
ينبغي أن يدعن له كل إنسان . إني لا أتحدث إليك عن  
نفسى ، وإنما أتحدث إليك عن الإله الذي أمثله وعن



چوكاست ، وعن أنتيجون هذه الفتاة التقية ، وعن  
الشعب آخر الأمر . عن هذا الشعب المروع الذى يرى  
أن ما يَليَمُّ به من الكوارث إنما هو عقاب له على ما يظهر  
ملكه من الإلحاد . ثم كيف تستطيع أنتيجون أن تكبر  
أباً ، وكيف تستطيع چوكاست أن تحب زوجاً يتحول قلبه  
عن الإله الذى توارثه جميعاً بالإجلال ! وأنت نفسك  
يا كريون يجب أن تفهم أن مما ينفع الناس جميعاً أن يذعن  
الملك لسلطان قوة قاهرة يستطيعون أن يفزعوا إليها  
حتى منه هو .

تدخل چوكاست

### چوكاست

إن أوديب شديد الحزن لما قصصت عليه من نبأ . إن  
أنتيجون تريد أن تخلص للدين .

كريون

تريد أن تكون كاهنة ؟

تيرسياس

ليس في ذلك ما يدهش . إن هذه الفتاة العزيزة تريد  
أن تقوم بذلك ما في فجور أبيها من عوج .

چوكاست

لقد أفضت إلى هذه النية التي يجب أن تظل سرّاً ،  
والتي لم يظهر عليها أخوها بعد .

كريون

آه ! يا للفتاة البائسة !

## تيرسياس

بأئسة لماذا؟ ستجد عند الإله سعادة أوثق من سعادة  
أوديب : نعماً مقدساً قوامه الخضوع لا الكبرياء .

## كريون

أقدر كذلك أن شقاء الشعب قد أثر في نفسها .

## چوكاست

إنها تلح على أن أدعها تعني بالمرضى ، وقد أبيت عليها  
ذلك ؛ لأنه ليس من شئون الأميرات . هنالك قالت لي :  
فلأصل من أجلهم ولاضرع . إلى الإله في أمرهم ، وربما  
ضرعت إليه في أمر . ثم قطع البكاء صوتها فلم تتم .

تيرسياس

في أمر شخص آخر أشد منهم مرضاً .

كريون

أكانت تفكر في أبيها ؟

تيرسياس

من غير شك . كيف تلتقي أوديب هذا النبأ ؟

چوكاست

مغضباً محزوناً أول الأمر ، ثم صائماً لأنه يعرف في  
هذا صانع تيرسياس .

### تيرسياس

لست إلا أداة الإله، وما دام الإله يتخذني أداة  
لا أتنازع أمره فلن يقف عملي عند هذا الحد .

### چوكاست

ما أعظم حظ هذا الزوج الحبيب إلى من الثبات  
والفضيلة والشجاعة ! إن الواجب يفرض علينا يا تيرسياس  
أن نرده إلى طاعة الإله .

### تيرسياس

يجب على كريون أن يعينني . يجب عليه أن يزعم ثقة  
الملك بنفسه فيعده بذلك لحسن الاستماع لي .

## كريون

سأحاول ، ولكنى لست واثقاً بالنجح فإن أوديب  
لا يلتقى السمع إلى من يثقل عليه .

## تيرسياس

سيهديك الإله كما يهدينى إلى الوسيلة التى تمس  
بها قلبه .

## كريون

لم يُغنِ الإله كثيراً بهدايتى قط .

## تيرسياس

إنه لا يحسن العناية إلا بهداية العميان .

چوكاست

إني أعتمد عليك يا تيرسياس ، فمن طريقك يأتي لنا العلم  
بإرادة الإله القدير .

## الفصل الثانى

« أى أوديب أيها الذى ولد فى غير  
احتياط وكان السكر له اباً . »  
[أوريبيد : التثقيات . ]

يتقدم أوديب وكريون ومما  
يمضيان فى حديث كانا قد بدأه

## كريون

... لو لم نكن متباينين إلى هذا الحد لما وجد أحد  
منا هذه المتعة حين يفهم عن صاحبه : وإنى أيها الصهر  
العزیز لأحب حديثك ؛ لأنك تفتح لى آفاقاً لم أكن



لا هتدى إليها وحدى . فلك الابتكار والتجديد . أما أنا  
 فيقيدنى الماضى ، وأنا من أجل ذلك أحترم التقاليد  
 والعادات والقوانين المقررة . ولكن ألا ترى أن من  
 الخير للدولة أن يمثل هذا كله ، وأنى أحقق التوازن  
 المفيد بإزاء عقلك المجدد ، فأحول بينك وبين الاندفاع  
 وأهدئ من مغامراتك الجريئة التى توشك أن تحطم  
 نظام الجماعة إذا لم تؤخذ بشيء من القصد يأتىها من هذا  
 السكون ومن هذا التشبث بالقديم . . .

أوديب [ فى شيء من الذهول ]

هذا ممكن .

كريون

إن شعور الأسيرة شديد السلطان على نفسى ، وأنت

من هذه الأسرة ، وأمر ابنائك يعني كأمر ابنائي  
فأذن لي في أن أجد شيئاً من القلق على صحة إسمين ، فهي  
عصبية ، وقد لاحظت ما أصابها أمس من الإغماء حين  
سمعت حديث أخيها . . .

أوديب

إن هذا الإغماء لم يطل .

كريون

ومع ذلك فيجب أن نغنى بها فنحملها على شيء من  
الرياضة . . . وكذلك چوكاست يخيل إلى أنها لا تستمتع  
بالصحة الكاملة منذ أيام ؛ فهي قلقة لما يصيب الشعب من  
شقاء ، فمن الحق عليك أن تحاول تسليتها .

أودیپ

حَسَنٌ ، حَسَنٌ !

کریون

وسأحدثك عن ابنیک حين يتاح لنا شيء من فراغ .  
فتیرسیاس أستاذ کیس ، ولكنهما لا يظهران حسن  
الاستماع له . قد ورثا عنک شيئاً من العناد لا أحققه ،  
فهما ثائران . هل قرأ علیک إتيوکل خواطره التي صور  
فيها بلاء العصر ؟

أودیپ

صورٌ فيها الطاعون ؟

## كريون

كلا . . . . . بلاء العصر مع عنوان آخر هو قلقنا .  
وهو بالطبع يقصد إلى قلق عقلي ممتاز . إن هذا الفتى  
لغريب حقاً . وليس پولينيس اقل منه جمالا وقوة  
وذكاء . إنهما يشبهانك من غير شك حين كنت في  
منهما . ولعلك ترى نفسك فيهما .

## أوديب

أحيانا .

## كريون

أتم من طائفة القلقين ، ولكنهما على الأقل يريان  
ماضيت لهما من مثل . أما أنت فقد كنت ترى نفسك

غريباً عند پوليب . . . أليس هذا هو الذى حملك على  
مغادرة قصره ؟ ألم تكن تجد الرضا عنده ؟

### أوديب

كنت أجد عنده كل ما أحب ، ولكنى أكره أن  
أدلل . وكنت أعتقد فى ذلك الوقت أنى ابن پوليب . ثم  
أقبل إلى القصر ذات يوم كاهن كان يتحدث إلى الناس  
بأمر مستقبلهم ، وكان كل واحد يريد أن يسأله عما يضر  
له الغيب . فلما جاءت نوبتى امتقع لونه وأبى أن ينبئنى  
بأمرى أمام الناس ، ثم انفرد بى وأنبأنى بأنه قد كتب علىّ  
أن أقتل أبى . ضحكت أول الأمر لهذه النبوءة ، ولكنى  
رأيتة يلح ويؤكد ، فلم أر بأساً بشيء من الاحتياط ،  
وكان أول ذلك أن أصارح پوليب بالأمر ، وأن أنبئه  
بأنى فراراً من هذه النبوءة السيئة سأفارقه إلى آخر

الدهر مهما يكلفني ذلك من مشقة ، فقد كنت أحبه .  
 هنالك أنبأني ليرد الطمأنينة إلى قلبي بأنني لست ابنه ،  
 وإنما تبنااني ، فما ينبغي إذن أن أخاف أن تتحقق هذه  
 النبوءة فيما يتصل به . ولم يستطع أن يبين لي عن أبي  
 شيئاً ، وإنما حدثني بأن راعياً من رُعاته وجدني في  
 الجبل وقد علقت كالثمرة من إحدى رجلي إلى غصن  
 دانٍ لبعض الشجيرات ( وهذا هو الذي جعلني أعرج  
 قليلاً ) وجدني عارياً معرضاً للريح والمطر كما يُطرح  
 الطفل الذي يُنتجه الحب الآثم ، والذي يراد التخلص  
 منه لأنه جاء على غير انتظار ليفسد على المحبين  
 أمرها ...

### كريون

طفل لغيره . لا بد أن يكون ذلك قد آذاك .

## أوديب

كلّا ! لم يؤذنى . ولعل مما يسرنى أن أعرف أنى لم  
اولد لرشدة ؛ فقد كنت أتكلف كثيراً من الجهد لأقلد  
بوليب حين كنت أعتقد أنى ابنه . وكنت أقول لنفسى  
أى شىء فى لم أرته عن آبائى . وكنت أسمع لدروس  
الماضى ، وأتتظر من أمس وحده إقرار ما عملت وإملاء  
ما ينبغى أن أعمل . ثم تنقطع الأسباب فجاءة ، وإذا أنا  
قد نهجت من المجهول ، فليس لى ماضٍ وليس لى نموذج  
أحتذيه ، وليس لى شىء أعتمد عليه ، وإنما يجب أن  
أبتكر كل شىء : أن أبتكر الوطن ، وأن أبتكر الأجداد  
وأن أخترع كل شىء وأستكشف كل شىء . ليس هناك  
شخص يمكن أن أشبهه إلا أن أكون أنا هذا الشخص .  
وما الذى يعنينى إذن أن أكون من أبناء اليونان أو من

أبناء اللورين ؟ كيف تستطيع يا كريون وانت المثقل  
بقيود الماضي الملائم للتقاليد الموروثة في كل شيء ، أن  
تقدّر ما في هذه الحاجة إلى ابتكار كل شيء من روعة  
وجمال . إن جهل الأبوين دعاء إلى مضاء العزم .

### كريون

ولكن فيم تركت پوليب بعد أن ردّك إلى الاطمئنان ؟  
فقد كنت متبناه ولم يكن له وارث ، فكنت خليقاً أن  
ترقى بعده إلى العرش .

### أوديب

لست أكره شيئاً كما أكره الاستئثار بما ليس لي فيه  
حق ، ولا أريد أن أنتفع بشيء إلا إذا اكتسبته بالعزم  
اكتساباً ، وكنت أجد في نفسي فضائل كأنها كانت نائمة ،



ولم أكن أطيق لها هذا الحمود . وكنت أشعر أنى بهذه الحياة التى كنت أحيها فى قصر پوليب راضياً ناعماً بالإنما كنت أضيع ما كتب لى من حظ .

### كريون

من الطبيعى أن أرى غير ما ترى ؛ فلو قد كنت مجهول النسب لكان من الممكن أن أتكلف من الخصال وأطلب من المزايا مثلك ما لم يقدر لى من طريق الوراثة . ولكنى أنا ابن ملك وأخو ملك لا أستطيع إلا أن أكون محافظاً . لم أكن ملكاً ولكنى كنت أحب أن أستمتع بنعمة الملك فى قصر لا يوس ، كما أحب أن أنعم فى قصر كى بكل مزايا الملك دون أن أحمل ثقله أو أتكلف همومه .

## أوديب

انعم في سلام ! انعم في سلام يا كريون . لعل  
من الخير أن يكون أمثالي أشخاصاً نادرين . ولكني  
أرى الفتية يقبلون ، فلنستمع لهم دون أن يرونا .

يتنحى أوديب وكريون  
وتدخل أنتيجون وبولينيس

## بولينيس

لا سبيل إلى التفكير الحر إلا إذا أزلنا هذه الأثاء  
التي تفرضها العبادة على العقل .

## أنتيجون

إن الاستسلام للشهوات تفرض عليه أثاء أشد  
نكراً وتعطفه إلى الشر . نعم ! لقد اتخذ عقلي هذا الثنى

الذى يضطره إلى ألا يفكر إلا تفكيراً مستقيماً . ومن  
المحقق أن كل اتجاه لشخصي إنما يدفعني إلى ...

بولينيس

أتمنى .

أنتيجون

... يدفعني إلى الإله !

بولينيس

لماذا لم تسمى حديثك أول الأمر ؟

أنتيجون

لأنى أعلم أنك لا تؤمن بالإله .

بولينيس

الإله إنما هو في حقيقة الأمر شيءٌ تضعينه عند آخر  
تكبيرك . أتؤمنين به حقاً ؟

أنتيجون

بكل قلبي وبكل عقلي . ولولا أنني أتحدث إليك لقلت  
بكل نفسي ، ولكنك لا تؤمن بالنفس أيضاً .

بولينيس

لعلك تنتهين إلى أن تحمليني على الإيمان بنفسك . . .  
ولكن هذا الإله الذي تذكرينه أوجد خارج عقلك ؟

أنثيجون

نعم ! ما دام يجذبني إليه .

بولينيس

إنما هو انعكاس بسيط لما في نفسك من الفضائل !

أنثيجون

بل أنا التي أعكس بعض ما فيه من خير ، فكل فضيلة  
إنما تصدر عنه هو .

بولينيس

أى أنثيجون : اسمعى لى . . . ولا يأخذك الخجل  
من سؤالى .

أنتيجون

إني أخجل مقدما ، ولكن سل مع ذلك .

بولينيس

أمن المحرّم أن يتزوج المرء أخته ؟

أنتيجون

نعم لاشك في ذلك . إنه محرّم أمام الناس وأمام  
الآله . لمَ تسألني هذا السؤال ؟

بولينيس

لأنني لو استطعت أن أتخذك لي زوجا لاسلمتك قيادي  
حتى تبلغيني إلهك هذا .

أنتيجون

كيف تقترف الشر وترجو أن تصل به إلى الخير ؟

بولينيس

الخير والشر . . . لا يردّد فك إلا هاتين الكلمتين

أنتيجون

لا تفتح شفتاي عن كلمة إلا إذا كان مصدرها قاي

كريون وأوديب قد استخفيا أثناء هذا النظر  
وسيطان مستخفين أثناء المناظر التالية

كريون [ إلى أوديب ]

كلا إنك لتعلم أني لا أستطيع أن أقبل الزواج

بين المحارم .

## أوديب

صه ا

يتنحى بولينيس وانتيجون  
ويدخل إتيوكل وإسمين

## إسمين

ما أندر لقاءك منفردا ! إنك دائماً في صحبة أخيك .  
كيف تستطيع أن توافقه دائماً ؟

## إتيوكل

أليس طبيعياً أن يفهم الأخ أخاه أكثر مما يفهمه  
الاجنبي ؟



## إممين

إن بين أنتيجون وبينى اختلافا عظيما في الذوق ، حتى  
 إننا لنختصم في غير انقطاع ، فهي تلومنى في كل ما أحب  
 وتزعم لى أنه محظور ، حتى انتهى بى الأمر إلى أنى لا أجرؤ  
 أمامها على الضحك أو اللعب . وأنا أعلم أنها أكبر منى سنا ،  
 ولكنى أكاد أعتقد أنها لم تكن صبية قط .

## إتيوكل

بولينيس وأنا توءمان قد وُلدنا معا ونشأنا معا ،  
 فكل شيء بيننا مشترك ، فأنا لا أذوق لذة ولا أجيل  
 خاطراً حتى يجسد على الفور مثل ما أجده ، فيزيده ذلك  
 قوة وأيداً .

إسمين

لست واثقة بأن مما يسرنى أن أجد لى ضريباً ، بل  
 لست واثقة بأنى لن أكرهه إن وجد ؛ فهناك أشياء  
 لا تحسن فيها الشركة .

إتيوكل

لم نواجه إلى الآن شيئاً من هذه الأشياء .

إسمين

لو أن أحداً كما أحب . . .

إتيوكل

لعلنا أن نحب توءمين .

إيمين

فإذا اتصل الأمر بالملك ؟

إتيوكل

لقد اتفقنا على أن نتناوب العرش .

إيمين

فإن لم تجدوا توءمين .

يضحكان

إتيوكل

سأدعك لأشاوره في ذلك . .

يخرج إتيوكل وتدخل أنتيجون

أنتيجون

كيف تضحكين والشعب في حداد ؟

إسمين

إنك أنت لا تضحكين حتى حين يكون كل شيء من  
حولك سعيداً .

أنتيجون

واحسرتاه ! إن في كل مكان من هذه الأرض شقاء  
لا يقاس إليه ما قد يوجد من فرح .

إسمين

إنما الفرح في أعماق نفسي ، وإني لأسمع في قلبي غناء .

إن البكاء على الأشقياء لا يعفيهم من الشقاء ، ولكنك  
أنت لا تميلين إلا إلى الذين يألون . ولعل ابتهاج الناس  
من حولك أن يسوءك

أنتيجون

إن سعادة بعض الناس تقلقني يا إميمين .

إميمين

بعض الناس ؟

أنتيجون

سعادة أبي . وكلما ازداد حبي له اشتد خوفي من هذه  
السعادة التي يزعمها لنفسه . إنه يهمل الإله . وليس  
للإنسان معتمد غير الإله .

إسمين

ان فرحى شىء مجنح .

تخرجان

كريون [ إلى أوديب ]

أترى إلى هؤلاء الفتية كيف يحسنون الحديث !  
« ان فرحى شىء مجنح » . . . . جملة ينبغى أن تحفظ .  
أما أنتيجون فظاهر حديثها لا يدل على شىء ، ولكن  
أعلم أنه فى حقيقة الأمر شديد العمق ؟ هو بالضبط  
ما كنت أريد أن اشعرك به ، ولكنى لم أكن أعرف  
كيف أقول .

أوديب

ما ذا إذن ؟

كريون

هو أنى لا أرى سعادتك من المتانة بحيث تظن .  
ولكن لنستمع لابنيك .

يدخل إتيوكل وپولينيس

إتيوكل

وفى الحق ما الذى نلتمس فى الكتب ؟ إنما نلتمس  
فيها الاذن بما نريد أن نعمل ، بل إن الذين يزعمون أنهم  
يحبون النظام ويحترمون الاشياء المقررة ، هؤلاء الذين  
يسمىهم تيرسياس أصحاب التفكير القويم ، إنما يلتمسون

فى الكتب الإذن فى أن يضائقوا ويظلموا ويخيفوا  
جيرانهم . إنما يلتمسون أصولاً ونظريات تريخ ضمائرهم  
وتضع الحق إلى جانبهم .

### بولينيس

أما نحن أصحاب التفكير المعوج فإنما نلتمس فى  
الكتب الإذن بأن نأتى من الأمر ما تنكره التقاليد  
ويأباه حسن الذوق وتحظره القوانين .

### إتيوكل

وبعبارة أخرى الموافقة على مخالفة المؤلف .

### بولينيس

نعم ، شىء يشبه هذا .



إتيوكل

فانا الآن مثلاً أبحث في الكتب عن جمل تبيح لي أن  
أأخذ إسمين لي خلية .

كريون [ في صوت خافت إلى أوديب ]

وقع .

بولينيس

أختك ؟

إتيوكل

أختنا . . . ماذا تنكر من هذا ؟

پولینیس

إن وجدت هذه الجملة فأظهرني عليها .

کریون

وقمان .

اودیب [ إلى کریون ]

النصف .

يخرج کریون

إتيوكل

إذا وجدت ماذا ؟

پولينيس

هذا الاذن . على أن هناك إذناً أقل شمولاً وهو أن  
تستغنى عن الاذن .

إتيوكل

أما هذا الاذن فلم أنتظر أن أظفر به في الكتب ! ...

پولينيس

لا نتفع به ؟

إتيوكل

طبعاً ! وإذا كنت الآن ألتبس الاذن فإنما ألتسبه  
لها هي ...

بولينيس

لا سمين ؟

إتيوكل

نعم ، لا سمين ، أما أنت فلست في حاجة إلى إذن .

بولينيس

وإذا منحتك لكمة على هذا الوجه الوقح أظنك  
لا تستطيع أن تزدري هذه اللكمة .

إتيوكل

حاول ، جرب ، أنت غيران ! ألم نشترك إلى الآن في  
كل شيء ! وإذن فقد أخطأت حين أفضيت إليك بهذا

الحديث . ومع ذلك أيها الأحمق فإني لم أقل هذا إلا  
لأغيظك .

بولينيس

أقسم لي على أن لاريبة بينك وبين إسمين .

إتيوكل

إلى الآن لا ريبة . إني أكظم .

بولينيس

ما أراك تكظم كما أكظم .

إتيوكل

لو لم أحدثك لما فكرت في هذا .

## بولينيس

أى إنى لم أكن أعلم أنى أفكر فيه ، فهناك أشياء  
تفكر فيها دون أن نشعر .

## إتيوكر

هذه مادة أحلامنا .

## بولينيس

ألم تسأل نفسك قط إلى أى حد يمكن أن يذهب  
الفكر ؟ يخيل إلى أنه أشبه شىء بالتنين الذى لانكاد  
نعرف منه إلا جسمه وذنبه ، ما ينسحب منه فى الماضى :  
وحش غريب غامض أحس أن رأسه المنكر القبيح يساير  
ضميرى وشعورى ورحتى ، يتحسس كل شىء ويشم

كل شيء ويرسل في كل مكان رغبة شديدة في  
الاستطلاع المغري ، أما سائرده فيتبعه كما يستطيع .

### إتيوكل

هذا التنين هو الذي أحميه بلاء العصر ، أجد في  
نفسى أسئلته التي لا تنقضى . إنه ياتهمنى بأسئلته .

### بولينيس

إني أفكر في التنين الذي قهره كدموس . يقال إننا  
نشأنا من أسنانه .

### إتيوكل

أتصدق ذلك يا بولينيس ؟ يقال أيضاً إن ابنة كدموس  
الهالكة حملت في أحشائها الإله با كوس . في هذا العصر

الذى نعيش فيه والذى تقدمت فيه الحضارة ، ومنذ قتل  
أبونا آخر ذرية أبي الهول لا تضرب الآلهة والكائنات  
الغريبة في الهواء ولا في الريف ، وإنما تضرب في أنفسنا .

### بولينيس

كدموس<sup>(٢)</sup> ، ليكوس<sup>(٣)</sup> ، أمفيون<sup>(٤)</sup> الذى أهدى  
إلينا الكتابة تقيدها خواطرننا . . . إن الإنسانية لتظهرلى  
متقدمة السن ، وإنى لأرى هذا كله بعيد العهد بنا !  
وإنى لأفكر فى الوقت الذى لم يكن الإنسان فيه قد  
اهتدى إلى الكلام .

### إتيوكل

إن تيرسياس يعلمنا أن الكلام رهبة من الآلهة  
للناس .



## بولينيس

إن إيماني بالآلهة لاقل من إيماني بالباطال .

يتقدم أوديب نحو أبيه

## أوديب

لقد أحسنتما القول ! إني لأعرف فيكما ابنيّ . إني  
 لأسمعكما ( لقد كنت أسمع عليكما ) فآسف لأني لم  
 أتحدث إليكما كثيراً . ولكنني أحب أن أقول لكما قبل  
 كل شيء . . . يا ابنيّ احترما أختيكما . إن ما يمسننا من  
 قريب ليس بالغنيمة النافعة . إن من أراد أن يعظم خليف  
 أن ينظر إلى بعيد . ثم لا تكثرا النظر إلى وراء . قدّرا  
 أن الإنسانية ما زالت بعيدة جداً عن غايتها أبعد مما نظن

وبينها وبين هذه الغاية آماد اطول مما بينها وبين عهدها  
الأول الذي لا نكاد نلاحظه .

### إتيوكل

الغاية . . . ما عسى أن تكون الغاية ؟

### أوديب

هي أماننا مهما تكن . يخيّل إلىّ أنى أرى الأرض  
بعد وقت طويل جداً وقد سكنها أناس أحرار ينظرون إلى  
حضارتنا كما ننظر نحن إلى الحضارة القديمة في أول عهدنا  
برقيتها البطيء . وإذا كنت قد قهرت أبا الهول فما ينبغي  
أن تستريحاً . هذا التنين الذي كنت تتحدث عنه يا إتيوكل  
يشبه ذلك الوحش الذي كان ينتظرني على أبواب ثيبا حيث  
كان يجب أن أدخل ظافراً . إن تيرسياس ليثقل علينا

بتصوفه وأخلاقه . لقد تعلمت هذا كله عند پوليب . إن  
 تيرسياس لم يخترع شيئاً ، وهو لا يستطيع أن يسيخ الذين  
 يبحثون ويخترعون . إنه على ما يزعم لنفسه من الاتصال  
 بالآلهة ومن علم الغيب من طريق الوحي أو من زجر الطير ،  
 لم يكن هو الذى استطاع أن يحل اللغز ! لقد فهمت ،  
 فهمت وحدي أن كلمة السرّ التى ينجو بها الإنسان من  
 أبى الهول هى : الإنسان . لم يكن بد من بعض الشجاعة  
 ليُنطقَ بهذا اللفظ ، ولكنى كنت قد أعددت قبل  
 أن أسمع اللغز . وقوتى إنما جاءت من أنى لم أكن أقبل  
 جواباً غير هذا مهما يكن السؤال الذى يلقى .

فقد ينبغى أن تفهما يا ابنى أن كل واحد منا يلقى  
 أول الشباب وحشاً قائماً يريد أن يأخذ عليه الطريق .  
 وهذا الوحش يا ابنى يعرض على كل واحد منا سؤالاً  
 خاصاً ، فاعلمنا أن هذه الأسئلة مهما تختلف فإن جوابها

واحد لا يتغير . نعم ! ليس هناك إلا جواب واحد لهذه  
الأسئلة كلها ، وهذا الجواب هو الإنسان ، وهذا  
الإنسان الفرد بالقياس إلى كل واحد منا هو  
شخصيته .

هنا يدخل تيرسياس

تيرسياس

أى أوديب : هذه هى الكلمة الأخيرة لحكمتك ؟  
إلى هذا ينتهى علمك ؟

أوديب

بل من هنا يبدأ علمى ، وليست هذه الكلمة إلا  
الكلمة الأولى .

تیرسیاس

والکلمات التالیه ما هی ؟

أودیپ

سیبحث عنها ابنای .

تیرسیاس

لن یجداها ، کما أنك لم تجدها .

أودیپ [ لنفسه ]

إنه لأشدّ محالاً من أبی الهول .

إلى ابنيه

دعانا .

یخرج إلیوکل وپولینیس .

## تيرسياس

نعم ! إنك تطلب إلى ابنك أن ينصرفا حين لا تجد  
 ما تقول لهما ، وحين يضطر عامك إلى العجز . لا تستطيع  
 أن تعلمهما إلا الكبرياء . كل علم يأتي من الإنسان لا من  
 الإله ، فهو باطل .

## أوديب

لقد اعتقدت وقتاً طويلاً أن إلهما كان يهدينى الطريق .

## تيرسياس

إلهما لم يكن شيئاً آخر غيرك ، أنت الذى ألله نفسه .

## أوديب

إلهاً أفهمتنى أنت أنى أستطيع أن أستغنى عنه .

## تيرسياس

عن هذا الإله الدعى تستطيع أن تستغنى من غير شك  
لا عن الإله الحق ، هذا الذى تابى أن تعرفه ، ولكنه  
يراقب خطاك ويتتبع أشد خواطرك خفاء ، الإله الذى  
يعرفك خيراً مما تعرف أنت نفسك .

## أوديب

من أين لك أنى لا أعرف نفسى ؟

تيرسياس

من أنك ترى نفسك سعيداً .

أوديب

ولم لا أرى نفسي سعيداً حين أكونه ؟

تيرسياس

إن المريض الذي يرى نفسه صحيحاً ليس شديد الشهوة  
إلى الشفاء .

أوديب

أتريد أن تثنعني بأنني مريض ؟



## تيرسياس

مرضاً شديداً ، لانه يزايد خطرہ أنك لا تعلم . اى  
 اوديب : إنك تزعم الإفلات من الإله وتجهل نفسك ،  
 وأريد أن أعلمك كيف ترى نفسك .

## أوديب

يُخَيَّلُ إِلَى مَنْ سَمِعَكَ أَنَّ الْأَعْمَى مَنَا هُوَ أَنَا .

## تيرسياس

اى اوديب : إن كانت عيننا وجهى مقفلتين ، فإنما  
 ذلك لترداد عيننا نفسى إبصارا .

أوديب

وبعيني نفسك هاتين ما ذا ترى ؟

تيرسياس

أرى بؤسك . ولكن أجبني منذ كم من الوقت  
تركيت عبادة الإله ؟

أوديب

منذ تركت السعى إلى معابده .

تيرسياس

طبعاً إذا لم تؤد فرائض العبادة خبت في نفوسنا

جدوة الإيمان . ولكن لماذا لم تقرب المعابد حين كانت  
في نفسك بقية من إيمان ؟

أوديب

لأن يدي لم تكونا نقيتين .

تيرسياس

أى جريمة دنستهما ؟

أوديب

دنستهما جريمة قتل اقترفتها على طريق الإله الذى  
كنت أريد أن أستشيريه ، وأبى الهول الذى قهرته .

تيرسياس

من ذا الذى قتلت ؟

أوديب

رجل مجهول كان يعترض طريقى بعربته .

تيرسياس

الطريق التى كانت تقودك إلى الإله . فإن الطريق التى  
لقيت فيها أبا الهول طريق أخرى ، ولكنك كنت تعلم  
أن الإله لا يرجع جوابا على من دنس يديه .

أوديب

هذا حق ، ومن أجل ذلك عدلت عن استشارة  
الاله وأخذت الطريق التي قهرت فيها أبا الهول .

ثيرسياس

ماذا كنت تريد أن تطلب إلى الإله ؟

أوديب

أن ينبئني ابن من أنا ؟ ثم أزمعت فجاءة أن أجهل هذا  
النسب .

ثيرسياس

بعد اقتراف الجريمة !

## أوديب

تعلمت فجاءة كيف آتخذ من هذا الجهل قوة .

## تيرسياس

قد كنت أظن أنك طُلعة شديد الرغبة دائماً في أن  
تعلم كل شيء . . . ولكن قبل هذا التهاون المتعمد . . .  
فسّر لي يا أوديب . . . لماذا كنت شديد الحرص على أن  
تعلم من الإله ما كنت تريد أن تسأل عنه ؟

## أوديب

لأن وحيًا تنبأ بأنني يجب . . . أي تيرسياس : إنك  
تثقل عليّ ، ولن أجيبك بعد الآن .

## تيرسياس

لقد تنبأ الوحى كذلك للايوس بأنه سيموت مقتولا  
 بيد ابنه . أى أوديب . أى أوديب أيها اللقيط ! أيها  
 الملك الآثم ! إن جهلك لماضيك هو الذى يمنحك هذه  
 الثقة . إن سعادتك عمياء . افتح عينيك على شقائك . لقد  
 استرد الإله منك حقلك فى أن تكون سعيداً .

يخرج تيرسياس

## أوديب

اغرب . اغرب ! كأن السعادة كانت هى الشئ الذى  
 كنت أبتغيه ، إنما هربت منها حين تركت پوليب قوى  
 الساقين مطلق اليدين . من ذا الذى يستطيع أن يصور  
 جمال الفجر وهو يلتقى أشعته على البرناس<sup>(٥)</sup> حين كنت

أُسعى في الندى نحو الإله أُلتمس جوابه ، كنت لا أملك شيئاً إلا قوتي ، ولكنى كنت غنياً بما كان فى شخصيتى من استعداد ، وكنت أجهل نفسى . نعم لقد كان مصيرى معلقاً بجواب الإله ، وكنت أذعن فرحاً لهذا المصير . . . . ولكن هنا شيئاً لا أصل إلى فهمه . ومن الحق أنى لم أفكر فيه كثيراً إلى الآن . يجب أن يقف الإنسان ليفكر ، وكنت فى ذلك الوقت مدفوعاً إلى العمل . . . . أمن الحق أنى تحولت عن طريق الإله لأن يدي لم تكونا نقيتين ؟ لم أكن أحفل بذلك حينئذ . ويخيل إلى الآن أن جريمتى هى التى وجهتنى نحو أبى الهول . ماذا كنت أريد أن أطلب من الإله ؟ كنت أطلب جواباً . وقد كنت أشعر بأنى كنت أنا نفسى جواباً لسؤال لم أكن أتبينه ، ثم عرفت أنه سؤال أبى الهول . لقد قهرته أنا الذكى . ولكن منذ ذلك الوقت ألم تزدد الأشياء كلها



غموضاً من يوم إلى يوم بالقياس إلى ؟ منذ ذلك الوقت  
 منذ ذلك الوقت . . . ماذا صنعت يا أوديب ؟ لقد نعدت  
 بالكفاة ونمت عشرين سنة ، ولكنى الآن أخيراً أحس  
 الوحش يتمطى فى دخيلة نفسى . إن مصيراً عظيماً ينتظرنى  
 مستخفياً فى ثنايا التاريخ . أى أوديب لقد مضى وقت  
 الطمأنينة . أفق من سعادتك .

### الفصل الثالث

« إني أضرع إليكم في ألا  
تظنوا بي ازدراء القوانين »

[ سوفوكل : أوديب في كولونا ]

أوديب [وقد أخذ بالمعطف الملكي لچوكاست]

آكلا ! أريد أن أعلم . لا تَنَسَلِي كما ينسل الظل .  
فلن أعفيك حتى أعلم . لن أخليك حتى أعلم كل ما عندك  
من الحقائق . إن هنا شيئاً غامضاً ملتبساً أريد أن أوضحه  
مهما يكن من شيء . وأجيبيني أولاً : أكنت تعلمين بموت  
لايوس حين دخلت ثيبا بعد أن أتيح لي قهر أبي الهول ؟

چو کاست

کیف أعد بالعرش قاهر أبي الهول دون أعلم أني آيم!

أوديب

فلم يكن يكفي للاستئثار بملك ثيبا أن يقهر أبو الهول ،  
بل لم يكن بد من قتل الملك .

چو کاست

بماذا تريد أن تهم نفسك .

أوديب

كلا ! كلا . إنك تتعجلين ، إنما أردت أن أقول لم  
يكن بد من أن يموت الملك .

## چوكاست

اسمع لى : لست أذكر جيداً حقيقة ما كان ولا كم  
مضى من الوقت بين موت الملك ووصولك إلى ثيبا ، إنما  
أعرف ذلك حق المعرفة كـريون ، وهو يستطيع أن ينبئك  
بـجـليته .

## أوديب

ما الذى يعنينى من أمر كـريون ؟ أعلمين ماذا قال  
لى ؟ لقد قال لى إن من الحق على أن أـكفى قاتل  
لايوس لا أن أعاقبه ، فلولا جريمته لما ارتقيت إلى  
العرش . ولكن موت الملك أـكنت تعلمينه ؟ قولى  
يا چوكاست .

## چوكاست

كيف تريد أن أذكر ذلك يا صديقي ؟ بماذا تريد أن  
تعذب نفسك ؟ لست أعلم إلا شيئاً واحداً وهو أنني لم  
أكد أراك حتى أردتك .

## أوديب

لم يكن بد من أن يخلو العرش والسرير من صاحبهما  
قبل أن يشغلهما شخص آخر . وقتل الملك وحده هو  
الذي أتاح لي الظفر بهما . ولكن أنت ألم تكوني  
تعلمين أنك حرة ؟

## چوكاست

يا صديقي يا صديقي لا تنبه إلى شيء من هذا ؛ فإن أحداً  
من المؤرخين لم يلتفت إليه .

أوديب

إذن فأنا أفهم كل شيء . لقد كنت تعرفين قاتل الملك .

چوكاست

ص ٩ .

اوديب

القاتل هو أنا .

چوكاست

اخفض صوتك .

أوديب

لم أكن قد أزلت عن يدي دم القتيل حين كنت أسعى  
إلى أبي الهول لأقهره .

چوكاست

قف .

أوديب

لقد كان يريد أن يمنعني من التقدم . كانت عربته  
تعرض طريقى ، فلما خاصمته فى ذلك ليفسح لى الطريق  
قتلته . هذا المجهول الذى لم يكن يحمل شارة الملك  
لم يكن إلا . . .

چوكاست

لماذا تريد أن تعلم ؟

أوديب

أنا شديد الحاجة إلى ذلك .

چوكاست

ألا تشفق على سعادتك ؟

أوديب

لا أشفق على شيء . لا أريد سعادة تقوم على الجهل  
والخطأ . هذه السعادة تليق بالشعب ، أما أنا فلست في  
حاجة إلى أن أكون سعيداً . لقد قضى الأمر وتمزق  
سحاب تلك الأحلام الساحرة . تستطيع أن تأتي  
يأتيرسياس .

يدخل تيرسياس يقوده كريون

تيرسياس

أأنت في حاجة إلى ؟



## أوديب

لم يأت وقت الحاجة إليك بعدُ . أريد قبل ذلك أن  
أهبط إلى قاعة الهوة . قل لي ، هذا الملك الذى قتلته ...  
كلا ! لا تقل شيئاً . لقد فهمت كل شيء . لقد  
كنت ابنه .

## كريون

آه ! يا للعجب ! ماذا أسمع . . . ؟ أتكون أختى أمه !  
أوديب هذا الذى كنت أحبه أيمكن أن يتخيل الإنسان  
أبشع من هذا ؟ ألا أعلم أأكون صهرى أم ابن أختى ؟

## أوديب

ألا يعنيك إلا هذا ؟ لا تشغلنى بصلات النسب ، هذه ،  
فلو أن ابنى كانا لى أخوين لازداد حبى لهما قوة .

## كريون

اُئذنى لى فى أن أرى هذا الخلط بين ألوان الشعور  
مؤلما . ومع ذلك فمن حقى عليك ان تحرمنى ، ألسن خالك ؟

## أوديب

يا لها من مكافأة بغيضة على حل اللغز ! ماذا ؟ أهذا هو  
اللغز الآخر الذى كان يستخفى وراء أبى الهول . وأنا  
الذى كان يهنى نفسه بجهل أبويه . بفضل هذا الجهل  
تزوجت أمى . واحسرتاه ! واحسرتاه ! وتزوجت معها  
ماضى " كله : الآن أفهم لماذا نامت مروءتى . لقد كان  
المستقبل يدعونى عبثا لأن چوكاست كانت تردنى إلى  
وراء . أى چوكاست : لقد كنت تزعمين فى جنون إلغاء  
ما لم يكن بد من وقوعه ، أنت التى كنت أحبها حب الزوج

و كنت أحبها دون أن أعلم حب الابن . . . لقد آن الوقت  
دعيني ! إني لأقطع ما بيني وبينك من صلة . أما أتم يا بني  
يارفاق غفلتي ، أيتها الحقائق الواقعة لما ثار في نفسي من  
رغبات : سأدخل من دونكم في المساء لأتم ما كتب لي  
من مصير .

### تيرسياس

أى أوديب يا ابن الخطأ والخطيئة لتولد من جديد .  
قد كنت في حاجة إلى الألم ليتجدد شخصك . خذ بحظك  
من الندم ، أقبل على الإله الذى ينتظرك . سيوضع عنك  
وزرك .

### أوديب

بأمر الإله الذى رسم لي طريقى قبل أن أولد نصب  
الشرك لأوخذ فيه . فليس بد من إحدى اثنتين : فإما أن

يكون الوحي قد كذب ، وإما أن يكون الهلاك قد قضى  
عليّ . لقد كنت مجبرا .

### تيرسياس

كنت مجبرا بحكم الإله الذي يستطيع وحده أن يصلح  
بينك وبين نفسك وأن يكفر عنك خطيئتك . ستفكر في  
هذا . ولكن أليس من الخير أن ينبه الشعب . لقد  
وعدته أنت بعقاب المجرم كما أراد الإله ليرفع عنه الشر .

### أوديب

أنبيء من شئت . لا أريد أن يجهل أحد شيئا . ادع  
أبنائي أيضا . ولكن أنبئهم أنت . أنبيء الناس جميعا بما  
لا أحسن أنا إنباءهم به . أنبئهم بهذه الجريمة التي لا أعرف  
كيف أسميها .

يخرج تيرسياس

## چوكاست

لماذا تضيع ما يمكن أن يظل بيننا مكتوما ؟ كان من الممكن ألا يتوهم أحد شيئا . وما زال هذا ممكنا إلى الآن . لقد نسيت الجريمة . إنها لم تمنع ، بل إنها أتاحت سعادتك . لم يتغير شيء .

## أوديب

كيف تقولين لم يتغير شيء . لقد تغير كل شيء ، ولم يبق شيء واحد كما كنت أفهمه من قبل . فقد كنت أولا ابن ملك دون أن أعلم . ولم أكن في حاجة إلى القتل لأملك . كان يكفي أن أنتظر .

## چوكاست

أراد الآلهة شيئا غير هذا .

## أوديب

وإذن فما عملته لم أكن أستطيع أن أتركه . نعم لقد كنت أعتقد أن إلهاً يهدينى وكنت أستمع من هذا الاعتقاد الثقة بسعادتى ، ثم أهملت هذا الاعتقاد نفسه وجعلت أعتد على نفسى . أما الآن فلست أعرف نفسى فى أعمالى . هناك عمل مع ذلك صدر عنى وأود لو أبحده . . . لأن مظهره قد تغير . أو لأن نظرى إليه قد تغير على الأقل حتى أصبح كل شيء يبدو لى مختلفا .

## چوكاست

لقد أضلك إله فى ذلك الوقت .

## أوديب

إله ، تقولين ؟ لقد كنت أرى نفسي قويا بحيث  
أستطيع أن أستغنى حتى عن الإله . لقد أردت أن أتحول  
عنه حين اتجهت إلى أبي الهول . لماذا ؟ هذا هو الذى  
أفهمه الآن . لقد كنت راضياً بالخضوع للإله حين كان  
يقودنى إلى المجد ، لا حين يقودنى إلى الجريمة ، إلى  
الجريمة التى أخفى على بشاعتها . . . يا لها خيانة من الآلهة  
ملؤها الجبن ! إنها لخيانة لا تطاق . . . ألا أزال إلى الآن  
خاضعاً لها ؟ هل تنبأ الوحي بما يجب أن أصنع ؟ أيجب أن  
أستشيرهُ أيضاً ؟ بماذا عسى أن تنبئك الطير يا تيرسياس ؟  
وددت لو أفلت من الآلهة التى تحيط بى ! وددت لو أفلت  
من نفسي . . إن فى نفسي شيئاً يعذبنى . إنه يشبه البطولة .  
إنه يتجاوز طاقة الإنسان . وددت لو اخترع ألما جديداً

لا أدري ما هو . وددت لو اخترع حركة جنونية تدهشكم  
جميعا . تدهشني أنا وتدهش الآلهة . هاتان العينان  
اللتان لم تحسنا تنبيهى لست . . .

مخرج أوديب

چوكاست

اتبعه يا كريون . لا تدعْه لحظة .

مخرج كريون

چوكاست [ وحدها ]

أيها التعس أوديب : ما حاجتك إلى المعرفة ؟ لقد عمات  
ما استطعت لأمْنَعك من تمزيق القناع الذي كان يحمي  
سعادتنا . لقد طردتني وهأنذا الآن عارية بشعة .  
كيف أستطيع أن أظهر أمام عينيك ، أمام أعين أبنائنا ،  
أمام أعين الشعب الذي أحس مقدمه ؟ وددت لو



رجعت أدراجي ونقضت كل ما عقد ، ونسيت مريونا  
 المخزي ، ولم أصبح أمام الموتى الذين ينتظروني إلا زوج  
 لا يوس وحده ...

تدخل الجوقتان وتخرج چوكاست

### الجوقتان [ تتحاوران ]

أين تذهب الملكة ؟ — تستخفي بالطبع — أين ذهب  
 أوديب ؟ يستخفي أيضاً . إنه خجل . — أن يتزوج الرجل  
 أمه ويولدها الولد . . . كل هذا من شؤون الأسرة وهو  
 لا يعنيننا ، إنما يعني الآلهة الذين يسخطون عليه  
 — وهناك قتل لا يوس وقد اقترفه ابنه أوديب — وقد  
 وعد أوديب أن يثأر له . يمكن أن يقال إنه اضطر نفسه  
 إلى حرج شديد . يجب أن يثأر الشائر من نفسه ، وأن

يتخذ نفسه على أنه مقترف الجريمة — لم يكن بد لإرضاء  
الآلهة من سقوط ملك ، فقد كان شقاؤنا عظيما — أليس  
من الطبيعي أن يضحى الملك بنفسه في سبيل شعبه ؟ بلى !  
إذا كان من شأن هذه التضحية أن تنقذنا من الشقاء .

الجوqtان ما

أى أوديب الذى كان يرى نفسه سعيدا ويقترب في  
سريره أشد الآثام خزيا : ليتنا لم نعرفك . لقد أنقذتنا من  
أبى الهول ، هذا حق ، ولكن ازدراءك للآلهة يجر  
علينا آلاما لا تحصى ولا يكافئها ما قدمت إلينا من خير .  
كل نعيم يُنال على رغم الآلهة ، فهو نعيم مغصوب يجب أن  
يُؤدى عنه الحساب إلى الآلهة عاجلا أو آجلا . لنعلن  
هذه الآراء جهره ، فإننا نرى تيرسياس مقبلا .

يدخل تيرسياس ومعه أبناء أوديب

## تيرسياس

يا بني : إنكم لتعلمون أين تجدون الملجأ إذا فقدتم  
حماية آبيكم . هاكم ما سيدفعكم إلى الحياة دفعا . وقد ألتزم  
أوديب يقسمه أن يثار من قاتل لا يوس .

## إتيوكل

ما أرى أنه يستطيع أن يرى لنفسه الحق في عرش ثيبيا .

## بولينيس

ما أرى أنه يستطيع البقاء في المدينة .

## أنتيجون

لا تنظقا بهذه الألفاظ القاسية التي سمعها الآلهة  
ويردونها عليكم .

إتيوكل

سنُتبع سيرة أبينا .

يولينيس

لن نحتاج نحن إلى أن نقتله لنرث عنه العرش

أنثيجون

إن أبي لم يقترب جريمته عن عمد..

إتيوكل

لن تكون لنا خطايا نحتاج إلى أن نكفر عنها .

يسمع صياح

الجوقة

ما هذا الصياح ؟

إسمين

إلى خائفة..

أنتيجون

تعالى إلى جانبي -

يخرج كريول من القصر

كريون

إن بشاعة العقاب لأشنع من بشاعة الجريمة . لقد قضت  
أمكم چوكاست . لقد انتهت حياتها حينما كنت ألاحظ  
أوديب « هذا ما لم يكن لعيني أن ترياه » . كذلك قال أوديب  
حين عرفنا النبأ . أما أنا فقد رأيته . رأيت أختي البائسة

معلقة . وبينما كنت أجد في إسعافها اندفع أوديب إلى  
 المعطف الملكي فانتزع منه مشابكه الذهبية ، ثم دفع بها  
 في عينيه دفعا عنيفا ، وإذا الدم والصيد يتفجران منهما  
 حتى يصيبني وشاشهما ، وإذا هما يسيلان على وجهه .  
 وهذا الصياح الذي كنتم تسمعون إنما هو صياحه ،  
 صياح الروع أولا ، ثم صياح الألم بعد ذلك .

تيرسياس

لم نعد نسمع هذا الصياح .

كريون

لعله أغشى عليه .

الجوقة

لا ، بل ها هو ذا . إنه لم يتردد الخطاؤ .

أنتيجون [ تترك إسمين وتسرع للقاء أوديب ]

أبت . . .

أوديب

هذه أنتيجون التي أمسّ الآن شعرها ؟ ابنتي وأختي  
في وقت واحد . . .

أنتيجون

لا تذكر هذا الخزي إلى آخر الدهر . لا أريد أن  
أعرف إلا أنني ابنتك .

أوديب

أنت التي لم تكذبنني قط . أنبئي هذا الذي لم يعد يري .  
أين يكون تيرسياس .

أتيجون

هنا . أمامك يا أبت .

أوديب

قريباً مني بحيث يسمع صوتي ؟

تيرسياس

نعم إني أسمعك يا أوديب . أتريد أن تتحدث إلي ؟

أوديب

أهذا هو الذي كنت تريده يا تيرسياس ؟ كنت  
تجسدني على ضوئي ، فأردت أن تجرني إلى ظلمتك ؟ إني  
مثلك أشاهد الآن الظلمة الإلهية . لقد عاقبت عيني اثنتين



لم تضيقنا إلى الطريق . لن تستطيع منذ الآن أن تستطيل  
على بما يمنحك العمى من تفوق .

### تيرسياس

إذن فهي الكبرياء التي دفعتك إلى أن تفقأ عينيك .  
لم يكن الإله ينتظر منك هذا الإثم الجديد ثمنا لجريمتك  
الأولى ، إنما كان ينتظر منك الندم ليس غير .

### أوديب

الآن وقد تاب إلى الهدوء وسكت عني الألم وفارقتني  
السخطة على نفسي ، أستطيع أن أجادلك يا تيرسياس . إني  
لمعجب بما تعرض على من ندم . أنت الذي يزعم أن الآلهة  
يقودوننا وأنني لم أكن أستطيع أن أفلت مما قدروا عليّ .

لعل هذه التوضيحية التي فرضتها على نفسي كانت مقدرة على  
 هي أيضاً بحيث لم أكن أستطيع أن أتجنبها . لا بأس !  
 لقد ضحيت بنفسى عن إرادة ورضا ، لقد بلغت من  
 الرفعة منزلة لم أكن أستطيع أن أعدوها إلا إذا وثبت  
 محاربا لنفسى .

### كريون

إنى لسعيد أيها العزيز أوديب بأن أملك محتمل على  
 الأقل . فقد بقى على أن أنبئك بشيء مؤلم . لن تستطيع البقاء  
 فى ثيبا بعد كل الذى كان وبعد أن علم الشعب بجريمتك .

### الجوقة

إننا نطلب أن ينفذ أمر الآلهة ، وأن تعفينا من  
 محضرك ومن آلامنا .

## كريون

إن إتيوكل وپولينيس ليطمعان في العرش منذ الآن .  
وإذ كانا ما يزالان حديثين لا يستطيعان النهوض بأعباء  
الملك ، فسأستا نف الوصاية على العرش مرة أخرى .

## تيرسياس

ما أرى أن شيئاً يدهشك حين ترى ابنك ينتفعان  
بما قدمت إليهما من قدوة .

## أوديب

سأترك لهما راضياً هذه المملكة التي لم يفتحها ولم  
يستحقها ، ولكنهما لم ينتفعا من القدوة التي قدمت  
لهما إلا باليسير الذي يتعلق شهواتهما . لقد أخذنا بالسهل  
وتجنبنا الصعب العسير .

## أنتيجون

أنى أبت : إني لأعلم أنك حين تختار لا تؤثر من الأمر  
إلا أنبله ، ومن أجل ذلك أزمعت ألا أفارقك .

## تيرسياس

لقد وعدت بأن تمنحني نفسك للإله ، فلن تستطيعي  
أن تتصرفي في أمرك كما تحبين .

## أنتيجون

كلا ! لن أخلف موعدي . إني حين أفلت منك  
يا تيرسياس سأظل وفية للإله . بل ينحيل إليّ أني أخلص  
في خدمته حين أتبع والدي أكثر مما أخلص فيها إن  
بقيت معك . لقد سمعتك تعلمني حقائق الإله إلى اليوم ،  
ولكن حظي من التقوى سيعظم ويزداد حين أصغي

لعقلي وقلي . أى أبت : ضع يدك على كسفى ، فلن يدركنى  
ضعف ولا وهن . تستطيع أن تعتمد على . سأزيل الشوك  
من طريقك . قل إلى أين تريد أن تذهب ؟

### أوديب

لا أدري . سأذهب أمامى . . . لا ألوى على شىء .  
لا وطن لى ولا أسرة . . .

### إسمين

إنى كسحزنى أن أرا كما تذهبان على هذا النحو .  
سألبس ثياب الحداد ، وسأدر ككما ممتطية جوادا .

### تيرسياس

قبل أن ينطلق أوديب اسمعوا جميعاً لما أوحى إلى

الآلهة . إنهم يعدون أن يمنحوا أعظم بركاتهم للأرض  
التي تستقر فيها جثته .

### كريون

حسن . . . أترى أنك تحسن إن أقمت بيننا ؟ نستطيع  
أن نتفق .

### أوديب

لقد سبقت الكلمة يا كريون . إن نفسي قد فارقت  
ثيبا منذ الآن ، وقد تقطع كل ما بيني وبين الماضي من  
صلات . لست ملكا ، لست شيئا ، إنما أنا ابن سبيل  
لا اسم له ، قد نزل عن ثرائه وعن مجده . بل عن نفسه  
أيضا .

## الجوقة

أقم معنا يا أوديب . سنُعنى بك . سترى . تذكر أنك  
أسديت إلينا فيما مضى من الدهر عوارف كثيرة . لأن  
كانت جريمتك قد أحفظت علينا الآلهة ، لقد انتقمتم لها  
من نفسك انتقاماً عظيماً . فكر في الأعراء عليك من  
أبناء ثيبا . فكر في شعبك . ما الذى يعنيك من أمر الذين  
لا يعرفونك ؟

## أوديب

مهما يكونوا فإنهم من الناس . وإنه ليلذ لي أن أحمل  
إليهم السعادة ثمناً لما ألقى من ألم .

## تيرسياس

ما ينبغى أن تريد لهم السعادة ، وإنما ينبغى أن تريد  
لهم النجاة .

## أوديب

سأدعك تفسر هذا للشعب . وداعاً ! تعالى يا ابنتي .  
 أنت الوحيدة بين أبنائي أريد أن أعرف نفسي فيك ،  
 وأريد أن أكل نفسي إليك ، أي أنتيجون النقية : لن  
 أسلم قيادي إلا إليك .





شیریں



أهدى هذا السفر الأخير إلى  
آن هورجون  
في غير تكلف  
فبفضل ضيافتها الحلوة ورعايتها المتصلة وعنايتها الدائمة  
أستطعت أن أتمه  
وأسجل هنا إعترافي بالجميل  
لچاك هورجون  
ولكل الذين أتاحوا لي أثناء هذا النفي الطويل  
أن أعرف قيمة الصداقة وبنوع خاص  
لچان أمروش  
الذى أحسن تشجيعى على هذا الجهد . ولعلى  
لم أكن بدونه أجده لليل إلى البدء فيه مع أنى  
أفكر فى كتابه منذ وقت طويل .



لقد كنت أتمنى أن أقصّ حياتي على ابني هيپوليت<sup>(٦)</sup> لأعظه وأعلمه، ولكن قد قضى. وسأقصّ حياتي مع ذلك. وقد كان مما لا سبيل إليه، لو عاش هيپوليت، أن أروى بعض حوادث الغرام التي عرضت لي. فقد كان يظهور غلواً شديداً في الحياء، ولم أكن أجروء على أن أتحدث أمامه عما لقيت من الحب. على أن الحب لم يكن ذا خطر إلا في الشطر الأول من حياتي. ولكنه عثني على الأقل أن أعرف نفسي بالقياس إلى الوحوش المختلفة التي قهرتها.

فقد كنت أقول لهيپوليت : « يجب قبل كل شئ أن يعرف الإنسان من هو ، ثم يحسن بعد ذلك أن نستحضر في شعورنا ونأخذ بأيدينا ما ترك لنا من ميراث . وسواء أردت ذلك أم لم ترده ، فأنت الآن ، كما كنت أنا من قبلك ، ابن ملك . لا سبيل إلى اتقاء ذلك . إنه واقع . إنه ملزم . » ولكن هيپوليت لم يكن يلقي إلى ذلك سمعاً . كانت عنايته به أقل من عنايتي حين كنت في سنه ، وكان مثلي لا يحفل بأن يعرف من ذلك شيئاً . يا للأعوام الأولى التي نحيها في البراءة والنقاء ! نشأة غير مكترثة ! لقد كنت الريح وكنت الموج . وكنت نباتاً وكنت طائراً . لم أكن أقف عند نفسي ، وكان كل اتصال بيني وبين العالم الخارجي لا يعلمني حدود طاقتي بمقدار ما يوقظ في من ميل إلى اللذات . لقد مسحت بيدي الثمر وقشر الشجر الرخيص ، والحصى الأملس على ساحل البحر ، وشعر الكلاب والخيول

قبل أن أُلَمَس النساء . لقد كنت أثب إلى كل ما كان يقدم  
إلىّ پان (٧) ، أو ذوس (٨) ، أو تيتيس (٩) ، من جمال .  
و ذات يوم قال لى أبى إن الأمور لا تستطيع أن  
تمضى على هذا النحو . « لماذا ؟ » لأنى بالطبع كنت  
ابنه وكان يجب أن أظهر نفسى كفىءا للعرش الذى سارته  
عنه ... على حين كنت أرى نفسى سعيداً بالجلوس عارياً على  
العشب الرخص أو على الرملة الملتهبة . ومع ذلك لا أستطيع  
أن أخطىء أبى ، فقد كان يحسن بإثارة عقلى خصماً لى . وأنا  
مدين لذلك بكل ما أتيج لى من قيمة فيما بعد ، بانقطاعى  
عن هذه الحياة المهملة مهما يكن هذا الإهمال لذيذا رائقاً .  
لقد علمنى أن الإنسان لن يظفر بشيء عظيم ولا بشيء  
قيم ولا باق إلا إذا بذل الجهد فى سبيله .

وقد بذلت أول جهد مستجيباً لدعائه . كان ذلك حين  
كان يدعوئى إلى أن أرفع بعض الصخور لأبحث تحتها عن



سلاح كان يزعم لى أن پوسيدون<sup>(١٠)</sup> خبأه . وكان يضحك حين كان يرى هذا التمرين يزيد قوتى نموا واشتدادا . وهذا التمرين العضلى كان يصاحب تمرينا للإرادة . وبعد أن رفعت كثيرا من الصخور الثقالة حول القصر باحثا فى غير طائل أخذت أحاول أن أنزع أحجار عتبة القصر ، هنالك وقفتى وقال :

— إن السلاح أقل خطراً من الذراع التى تحمله ، وإن الذراع أقل خطراً من الإرادة العاقلة التى توجهها . هاك السلاح . لم أرد أن أدفعه إليك قبل أن تستحقه . وإنى أجد عندك الآن الرغبة فى اصطناعه ، وهذا الميل إلى المجد الذى لن يتركك تصطنعه إلا فى الأمور النبيلة ذات الخطر وفيما يسعد الناس . لقد انقضى عصر طفولتك ، فكن رجلا . تعلم أن تبين للناس ما يمكن أن يكون وما يريد أن يكون واحد منهم . إن هناك أمورا جساما يجب أن تتحقق . فحقق نفسك .

كان أبى إيجيه (١١) رجلاً كريماً ملاً ما كل الملاءمة لما  
يجب أن يكون عليه الرجل من الخصال . وأكاد أتوهم فى  
حقيقة الأمر أنى لست ابنه إلا ظناً . قيل لى هذا ، وقيل  
لى كذلك إن الإله يوسيدون هو الذى ولدنى . فإذا  
صح هذا فقد ورثت عن هذا الإله أخلاقى التى لا تثبت  
على شىء . فلم أستطع أن أثبت على حب امرأة . وكان إيجيه  
يمنعنى من ذلك أحياناً . ولكنى أحمده وصايتة ، وأحمد  
له كذلك أنه رد فى أتتىكا كثيراً من الاعتبار والتقدير  
إلى عبادة أفروديت (١٢) ، ويحزننى أنى دفعته إلى الموت بما

اضطرت إليه من هذا النسيان الخطير حين أنسيت أن أرفع على السفينة التي عادت بي من أقریطش<sup>(١٣)</sup> شرعاً أيضاً مكان شرعها السود ، كما كان قد تم الاتفاق بيننا على ذلك إذا عدت منتصراً من هذه المغامرة الخطرة . وليس الإنسان قادراً على أن يفكر في كل شيء . وفي الحق أني سألت نفسي — ولما أسألتها — لا أستطيع أن أؤكد أنني تركت ذلك عن نسيان ؛ فقد كان إيجيه كما قلت يقوم عقبة بيني وبين الحب ، ولا سيما بعد أن استكشفت له ميديه<sup>(١٤)</sup> وسيلة ترده إلى الشباب حين رآته ورأى نفسه هرماً يسرع إليه الفناء ، فكان يصدني بأهوائه عن أهوائي ، على حين أن طبيعة الأشياء تقتضي أن يتناوب الناس حظوظهم في هذه الحياة . ومهما يكن من شيء فقد علمت حين دخلت أتيننا أنه لم يكد يرى الشرع السود حتى قذف بنفسه إلى البحر .

ومن الحقائق أنى أدت إلى الناس خدمات جليلة ،  
فقد ظهرت الأرض من كثير من الطغاة وقطاع الطرق  
والوحوش ، وجبت طرقاً خطيرة لم يكن المغامرون يحاولون  
سلوكها إلا خائفين ، وصفت السماء حتى أصبح الناس أقل  
إحناء للرهوس وأقل خوفاً من المفاجآت . . .

ويجب الاعتراف أن مظهر الريف في ذلك الوقت لم  
يكن يشعر بأمن أو طمأنينة ؛ فقد كانت تمتد بين القرى  
المتناحية مسافات من القفر تقطعها طرق مخوفة . وكانت  
هناك غابات كثاف وثنيات ضيقة بين الجبال . وكان أرساد  
من قطاع الطرق قد استقروا في الأماكن المريبة ، وجعلوا  
يقتلون المسافرين وينهبون ما كانوا يحملون ، ولم يكونوا  
يخضعون لرقابة شرطة أو حراس . وكان قطع الطريق  
يضاف إلى السطو والسرقة العنيفة وإلى اعتداء الحيوان  
المفترس وإلى هذه القوى المنكرة لعناصر الطبيعة

الماكرة ، بحيث لم يكن الناس يتبينون حين يرون مغامراً أصابه مكروه : أكان ضحية لمكر الآلهة أم كان ضحية لعدوان الناس ؟ كما أنهم لم يكونوا يعلمون أكان هذا الوحش أو ذاك كأبي الهول الذي قهره أوديب والجورجوني<sup>(١٥)</sup> التي قتلها بليروفون<sup>(١٦)</sup> صنفاً من الناس أم صنفاً من الآلهة ؟ كل شيء لا يسهل فهمه كان يظن به أنه من عمل الآلهة ، وقد كان الدين مليئاً بالخوف حتى كان الناس يرون البطولة إثماً وفجوراً . وكان أول الانتصار الذي ظفر به الإنسان وأعظمه خطراً هو انتصار الإنسان على الآلهة .

ولم يكن سبيل إلى قهر العدو سواء أكان إنساناً أم إلهاً إلا أن تظفر بسلاحه وتقهره بهذا السلاح . كذلك فعلت حين اغتصبت من بيريتيس<sup>(١٧)</sup> سلاحه ، وكان مارداً عانياً بعيد الصيت يقيم في مدينة ابيدور<sup>(١٨)</sup> . وصعقة

ذوس نفسها أؤكد أن وقتاً سيأتى يستطيع الناس فيه  
أن يسخروها لحاجاتهم كما استطاع برومثيوس (١٩) أن  
يختلس النار من الآلهة

نعم ! هذه هى الانتصارات الحاسمة . أما بالقياس إلى  
النساء وهن مصدر قوتى وضعفى فى وقت واحد ، فلم يتح  
لى انتصار حاسم قط ، وإنما احتجت دائماً إلى استئناف  
الجهاد . لم أكن أفلت من إحداهن إلا لاقع فى حبائل  
غيرها . ولم أكن أظهر على إحداهن إلا بعد أن تظهر  
هى على . لقد كان بيريتوس<sup>(٢٠)</sup> محققاً حين كان  
يقول — وما أكثر ما كنا نتفق فى رأى — إنما المهم  
هو ألا يدع الإنسان نفسه يصبح لعبة لإحداهن ،  
كما كان هيرقل (٢١) بين ذراعى أمفال (٢٢) . ولما كنت  
لا أستطيع ولا أريد أن أمتنع على النساء ، فقد كان يقول لى  
كلما رآنى نهبا للحب « امض ولكن تحول » . أما تلك

التي أرادت أن تحتاط لي فتكلفت أن تصل بينها وبينى بمخيط  
أمسكته ، ولكنه لم يكن يمتد إلى غير مدى ، فهي التي ...  
ولكن الوقت لم يثن للحدث عن هذه القصة ...  
وكانت أنتيوب<sup>(٢٣)</sup> أقربهن إلى امتلاكى . كانت  
ملكة الأمازون<sup>(٢٤)</sup> ، وكانت كبقية رعيته الإناث  
عوراء الصدر ليس لها إلا ثدى واحد ، ولكن هذا  
لم يكن يعيبها . كانت قد مرنت على السباق والصراع ،  
وكانت عضلاتها صلاباً غزاراً كعضلات المصارعين من  
فتياتنا . جاهدتها . وكانت تضطرب بين ذراعى ، كأنها  
السنور العظيم . فإذا نزع سلاحها جاهدت بالمخالب  
والأسنان ، وكانت تثور حين ترانى أضحك — وكنت  
مثالاً لاسلاح لى — وتثور خاصة لأنها لم تكن تملك أن  
تصرف عنى حبها ، لم تتح لى قط امرأة أجمع منها لخصال  
العذراء ولا على بعد ذلك أنها لم ترضع ابنتا هيبوليت إلا

من ثدى واحد ، فقد كنت حريصاً على أن يكون هذا  
العفيف النافر ولى عهدى . وسأقص فيما بعد ما جعل  
حياتى كلها حداداً . فليس يكفى أن يوجد الإنسان ،  
ولا أن يكون قد وجد ، وإنما يجب أن يورث ويعمل  
بحيث يشعر أن وجوده لم يَتم ، وأنه مازال متصلاً محتاجاً  
إلى أن يكمل . كذلك كان يعيد على جدى . لقد  
كان بيثيه <sup>(٢٥)</sup> وإيجيه أذكى منى قلباً ، كما أن  
پيرتيوس يفضلى الآن فى الذكاء . ولكن يعرف الناس  
فى حسن التقدير فأما سائر خصال الخير فتأتى بعد ذلك  
ما دمت لم أفقد قط الإرادة التى تدفعنى إلى الرغبة فى  
الإتيقان لكل ما أطول . كما أن لى حظاً من شجاعة  
بدفعنى إلى محاولة الأمور الجسام . كنت من أشد الشباب  
طمعاً ، وكانت المآثر التى تنقل إلى عن ابن خالتى هرقل  
نزيد شبابى طموحاً وقلقاً ، ولما تركت تريزين <sup>(٢٦)</sup> وهى



المدينة التي كنت أعيش فيها لآلحق في أثينا بأبي المفروض،  
لم أرد أن أسمع للنصائح التي قدمت إليّ على ما كانت تمتاز  
به من سداد . كان يشار على بركوب البحر ، لأن طريق  
البحر أشدّ أمناً . ومن أجل هذا الخطر كنت أوتر  
طرق البر لأنها بما فيها من التواء كانت تتيح لي أن أظهر  
حسن بلائي . وكانت جماعات مختلفة من قطاع الطرق قد  
ملأت الأرض فساداً أسرفت في ذلك آمنة منذ أخذ  
هيرقل يستأنث على قدمي أومفال . كنت في  
السادسة عشرة . وكان الميدان أمامي رحباً ، وكانت نوبتي  
قد حلت ، وكان قاي يتوئب إلى أقصى حدود ما كنت  
أجد من فرح ومرح . هنالك صحت : ما حاجتي إلى الأمن  
أو إلى طريق قد طهرت من الخوف . وكنت أزدري  
الراحة في غير مجد ، كما كنت أزدري الترف والكسل .  
وإذن فقد جربت نفسي حين سلكت إلى أثينا برزخ

پيلوپونيز (٢٧) ، فعرفت قوة ذراعى ، وقوة قلبى ، حين  
 قهرت بعض المخوفين من قطاع الطريق : سنيس (٢٨) ،  
 بيربيتيس ، بروكروست (٢٩) ، چيريون (٣٠) ، ( لقد  
 أخطأت إنما قهره هيرقل ، أما أنا فقد أردت أن أقول  
 سيرسيون (٣١) ) ، بل ارتكبت فى ذلك الوقت خطأ يسيراً  
 حين أسأت إلى سيرون (٣٢) ، وكأن فيما يظهر رجلاً  
 كريماً حسن النية حسن الرعاية لمن يمر به ، ولكنى لم أعلم  
 ذلك إلا بعد فوات الوقت ، ومن حيث إنى قد ظهرت  
 عليه وقتلته فقد تقرر أنه كان مجرمًا أثمًا .

وفى طريقى إلى أثينا أيضاً لقيت أول ابتسامات الحب  
 بين جماعة من نبات الهليون . كانت بيريجون (٣٣) طويلة  
 لدنة ، وكنت قد قتلت أباهما ، فكافأتهما بأن منحتهما غلاماً  
 رائعاً هو : ميناليب (٣٤) . وقد فقدت الصبي كما فقدت  
 أمه لأنى تمحلت عنهما ، حريصاً على ألا أتأخر فى الطريق .

وكذلك كنت دائماً أقل اشتغالا واتصالا بما عملت ، منى بما  
ينبغي أن أعمل . وكنت أرى أن أشد الأشياء خطراً هو  
ما أنتظر لا ما أتممت .

ومن هنا لن أطيل الوقوف عند هذه المعدات اليسيرة  
التي لم تكد تمنى إلا قليلا . ولكن هأنذا بإزاء مغامرة  
رائعة لم يتح مثلها لهيرقل نفسه . فيجب أن أقصها  
مفصلة .

إنها قصة معقدة . يجب أن أقول قبل كل شيء إن جزيرة أقریطش كانت قوية . وكان يملك عليها مينوس<sup>(٣٥)</sup> وكان يرى أتيكا مسؤولة عن موت ابنه أندروجيه<sup>(٣٦)</sup> ، وكان قد فرض علينا ليعاقبنا ضريبة يجب أن تؤديها في كل عام . كان يجب أن تقدم إليه سبعة من الفتيان وسبعاً من الفتيات ليقربوا فيما كان يقال طعاماً للمينوتور<sup>(٣٧)</sup> ، وهو الكائن الغريب الذي ولدته پاسيفاييه<sup>(٣٨)</sup> زوج مينوس حين كانت بينها وبين ثور بعض الصلات . وكان هؤلاء الضحايا يختارون من طريق القرعة .

وكننت في هذا العام قد عدت إلى بلاد اليونان . ومع  
أن الحظ كان خليقاً أن يحميني — فهو يحمي الأمراء عن  
رضا — فقد ألححت في أن أكون بين الضحايا على رغم  
ما وجدت من مقاومة الملك والدي . . . فلست في حاجة  
إلى الامتيازات الموروثة ، ولا أريد أن أمتاز إلا بشجاعتى  
وبأسى . وكننت أدير في نفسى أنى سأقهر المينوتور وأريح  
اليونان من هذه الضريبة البشعة ، وكننت على ذلك مشوقاً  
إلى أن أرى أقريطش التى كانت ترسل إلينا فى أتيكا بغير  
انقطاع أشياء جميلة مترفة غريبة . فقد سافرت إذن  
بعد أن انضممت إلى الثلاثة عشر الآخرين وبينهم صديقى  
يريتوس .

وقد ألفت سفينتنا مرساها ذات صباح من أيام مارس  
فى ضاحية أمينيسوس (٣٩) وهى الميناء القريب بمدينة  
كنوسوس (٤٠) عاصمة الجزيرة حيث يقيم الملك وحيث

بنى قصره . وكان يجب أن نصل من الليل ، ولكن عاصفة شديدة أخرتنا . فلما هبطنا إلى الساحل أحاط بنا أحراس مسلحون ، ثم أخذوا سيفي وسيف صديقي بيريتوس ، واستوثقوا من أننا لا نحمل سلاحاً آخر ، ثم قادونا لتمثل بين يدي الملك الذي أقبل من كنوسوس مع حاشيته . وكانت جماعات ضخمة من الشعب تزدهم لترانا . وكان الرجال جميعاً عراة الصدور والظهور ، وكان مينوس وحده وقد جلس تحت مظلته قد اتخذ رداء أحر قانياً غير مخيط يتدلى من كتفيه إلى كعبيه في أثناء نفخة . وعلى صدره العريض كأنه صدر ذوس قد انتظمت عقود ثلاثة بعضها فوق بعض . وكثير من أهل الجزيرة يتخذون مثل هذه العقود ولكنها عقود مبتذلة . أما عقود الملك فكانت تأتلف من الجمان وقطع من الذهب قد نقش عليها أزهار السوسن . وكان يجلس على عرش

تعلوه الفأس المثناة ، واتخذ في يمينه التي قدمها إلى أمام  
 مباعداً بينها وبين جسمه صولجاناً من الذهب يبلغ قامته  
 طولاً ، وأمسك بيده الأخرى زهرة مثلثة الأوراق  
 تشبه ما اشتملت عليه عقودها لولا أنها أكبر منها . وهي  
 في أكبر الظن من ذهب . وعلى تاجه الذهبي قامت علامة  
 ضخمة من ريش الطاوس والنعام واللكيون<sup>(٤١)</sup> . وقد  
 أطال النظر إلينا بعد أن رحب بنا في جزيرته مجرياً على  
 ثغره ابتسامة توشك أن تكون ساخرة ؛ فقد كان يعلم  
 أننا إنما أتينا إلى جزيرته مقضياً علينا . وكانت الملكة  
 وابنتاها الأميرتان قائمتان إلى جانبه . وقد خيل إلى فوراً  
 أن كبرى الأميرتين قد لحظتنى . وقد هم الحراس أن  
 يقودونا ولكن رأيتها تميل إلى اذن الملك وتقول له في  
 صوت خافت باليونانية . وقد سمعتها لأنى دقيق السمع :  
 « إني أضرع إليك في أن تبقى على هذا » . تقول ذلك وهي

تشير إلى باصبعها . هنالك ابتسم ميثوس وأصدر امره  
فلم يقد الحرس إلا رفاقى . ولم أكد أنفرد بين يديه حتى  
أخذ فى سؤالى .

ومع أنى قد أزمعت أن أصدر عن الحذر الشديد  
فى كل ما آتى ، وألا أظهر شيئاً من نسي النبيل ،  
ولا من خطي الجريمة ، وقد ظهر لى فجأة أن من الخير  
أن ألب لعباً صريحاً ما دامت الأميرة قد التفقت إلى ،  
وأن شيئاً لن يستطيع أن يصل بينها وبينى ويكفل لى  
عطف الملك على كما يستطيع ذلك إعلانى إليهما أنى  
حفيد بيتيه . بل قد لمحت بأن الناس يتحدثون فى أتيكا  
بأن پوسيدون العظيم قد ولدنى . هنالك قال الملك فى  
جد : سنتبين ذلك بعد قليل حين نخضعك لامتحان  
الموج . فلم أتردد فى أن أجيب يائى واثق بأن أخرج  
ظافرا من كل امتحان . وقد أظهر سيدات القصر هؤلاء



شيئاً من التأثر حين رأيته ثقى بنفسى ، وإن كنت لم أر ذلك فى وجه مينوس . قال الملك :

— أما الآن فانصرف إلى تجديد قواك . فإن رفاقك ينتظرونك على المائدة ، ويجب أن تكون محتاجاً كما يقال هنا إلى أن تقيم أودك بعد هذه الليلة الشاقة . خذ حظك من الراحة . وأرجو أن تشهد عند آخر النهار ألعاباً رسمية ستقام تكريماً لك . ثم نستصحبك أيها الأمير ثيسوس إلى كنوسوس ، حيث تنام فى غرفة من غرفات القصر ثم تشاركنا من غد فى العشاء . سيكون عشاء يسيراً ، عشاء أسرة ، ترسل فيه نفسك على سجيته ويسعد هؤلاء السيدات بأن يسمعنك تحدثهن بما قدمت من مآثر وما أحسنت من بلاء . أما الآن فسيأخذن زيتتهن استعداداً للحفل . سنلقاك هناك وستجلس مع رفاقك تحت المقصورة الملكية مباشرة ، ذلك مكان

مقسوم لك لأنك أمير . وسيشرف رفاقك بالجلوس فيه معك ؛ فما أحب أن أفرق بينك وبينهم .

وقد أقيم هذا الحفل في ملعب عظيم في شكل نصف دائرة ينفرج مما يلي البحر . وقد شهدته جمهور ضخمة من الرجال والنساء أقبلوا من كنوسوس وليتوس (٤٢) ، بل جاء بعضهم من جورتين (٤٣) ، على أنهم لا تبعد عن مكان الحفل نحو مئتي فرسخ ، وجاء بعض الناس من مدن وقرى أخرى مجاورة ، كما جاء آخرون من الريف الذي يقال إنه مكتظ بالسكان . وكان الدهش يأخذني من جميع حواسي ، ولم أكن أستطيع أن أصور إلى أي حد كنت أرى أهل الجزيرة غرباء . ولما لم يكن يتاح لهم جميعاً أن يتخذوا مجالس في المدرج ، فقد كانوا يزدحمون ويتدافعون في المسارب وعلى درجات السلم . وكانت جماعة النساء ضخمة كجماعة الرجال ، وكن عاريات الصدور والظهور ، وقليل منهن

كن يتخذن القراطق قد ائفرجت عن صدورهن انفراجاً  
 واسعاً رأيته مخالفاً للحياء لما كان يظهر من أثدائهن .  
 وكانوا جميعاً رجالاً ونساء قد اتخذوا مناطق شدوها  
 شداً عنيفاً على أوساطهم ، فبدت خصورهم غاية في الضآلة  
 والنحول كأنها المرامل . وكان الرجال سمرّاً قد اتخذوا في  
 أيديهم وسواعدهم وأعناقهم من الخواتم والأساور والعقود  
 مثل ما اتخذ النساء . وكانت كثرتهم تمتاز ببياض  
 البشرة ؛ وكانت الوجوه كلها حليلة لا يستثنى من  
 ذلك إلا وجه الملك ووجه أخيه رادامنت (٤٤) ووجه  
 صديقته نيدال (٤٥) . وكان سيدات القصر قد اتخذن  
 أماكنهن في المقصورة التي أجلسنا تحتها وقد عرضن زينة  
 رائعة مترفة من الثياب والجلي ، وأشرفن على ميدان اللعب .  
 وكانت كل واحدة منهن قد أحاطت خصرها بثوب ألحقت  
 به قطع عراض من النسيج ، فهو منتفش في صورة رائعة

مما يلي الخصر ، ثم هو يتدلى في منظر جميل مختلط حتى يبلغ الأقدام التي حبست في أحذية من الجلد الأبيض ، وكانت الملكة في وسط المقصورة تمتاز منهن جميعاً بزيبتها الفخمة . قد عرى صدرها وذراعاها . وقد فصلت على ثديها العظيمين ضروب الجواهر من اللؤلؤ والمينا والأحجار النفيسة . وقد أحيط وجهها بنخصل طويلة سود ، ورصفت على جبهتها خصيلات دقاق . وكانت شرة الشفتين ، منقبضة الأنف ، كبيرة العينين فارغتهما ترسل منهما نظرات توشك أن تشبه نظرات الصوار . وقد اتخذت شيئاً يشبه أن يكون تاجاً من الذهب لم تضعه على شعرها مباشرة ، وإنما وضعت على قلنسوة قائمة غريبة تثير الضحك ، وهي تنفذ من التاج وتنتهى بطرف مرتفع محدد ينعطف إلى الأمام كأنه القرن قد انحنى على جبهتها . وكان قرطعها المفتوح من امام إلى منطقة يرقى على

ظهرها حتى يبلغ العنق ، فيحاول أن يحيطه ببنيقة شديدة  
 الانقراج . وكان ثوبها النصفى المنتشر من حولها يعرض  
 للإعجاب على بياضه المشرب بالصفرة ضروباً من الطراز  
 بعضها دون بعض ، منها ما يصور السوسن الأرجوانى ،  
 ومنها ما يصور الزعفران ، وأسفلها يصور زهرات  
 البنفسج وقد أحاطت بها أوراقها الخضر . ولما كنت  
 تحت مقصورتها كنت أراها من قريب جداً كلما التفتت  
 إلى وراء . وكنت أفتن بحسن اختيار الألوان وجمال  
 الطراز ودقة العمل وبلوغه حد الكمال .

وكانت أريان<sup>(٤٦)</sup> أبتها الكبرى قد جلست عن يمين  
 أمها مشرفة على اللعب ، وقد اتخذت زينة أقل فخامة من  
 زينة الملكة ، واتخذت ثوبها من لون آخر ؛ فلم يكن  
 ثوبها النصفى ولا ثوب أختها يحملان إلا صفيين من الطراز  
 فأما الصف الأعلى فكان يرسم كلاباً ومهاً ، وأما الصف

الأسفل فكان يرسم كلاباً وحجلاً. أما فيدر<sup>(٣٧)</sup> فكان واضحاً أنها أصغر من أختها سنّاً، وقد جلست عن يسار أمها بأسيفاييه ورسم الصف الأعلى من طراز ثوبها أطفالاً يعدون وراء الأطواق، كما رسم الصف الأسفل أطفالاً صغاراً قد انحنوا يلعبون بالحصباء. وكانت تنعم بمنظر اللعب في طفولة ظاهرة. وكنت أنا لا أتبع اللعب إلا قليلاً، قد أخرجني عن طوري كل هذه الأشياء التي لا عهد لي بمثلها. ولكنني كنت شديد الدهش بما كنت أرى من مرونة اللاعبين ورشاقتهم وسرعتهم حين كانوا يغامرون بالظهور على الميدان بعد أن تتركه لهم جماعات الغناء والرقص والصراع. وإذا كنت أتهياً لمواجهة المينوتور فقد كنت حريصاً على أن أنتفع بما كنت أرى من مكرهم وتسلكهم لعلّي أستعين بشيء من ذلك على إجهاد الثور وإذها.



## ٤

ولما قدمت أريان الجائزة لآخر الفائزين نهض مينوس  
مؤذنا بانتهاء الحفل ، ودعاني وحيدا للقاءه وقد وقف  
يحيط به الحرس .

فلما صرت بين يديه قال لى :

— سأقودك أيها الأمير ثيسوس الآن إلى ساحل  
البحر وأمتحنك هناك لنتبين أنك فى الحق من ولد  
پوسيدون .

ثم قادنى إلى صخرة ترتفع متقدمة إلى البحر ويلطم  
الموج أسفلها . وقال لى :



— سألقى تاجي في البحر لأبين لك أنني واثق بأنك  
سترده إليّ .

وكانت الملكة والاميرتان قد رغبتا في شهود  
الامتحان ، فشجعني ذلك واندفعت أقول معترضا :  
— أكلب أنا لأرد شيئا إلى صاحبه ، وإن كان هذا  
الشيء تاجا ! دعني أغوص في البحر لغير غاية ، ولك أن آتيك  
بما يدلك على أنني قد أحسنت الغوص .

ودفعت الجراءة إلى أبعد من هذا . فقد مرت نسمة  
قوية بعض الشيء ، فترعت عن كتف الأميرة أريان طرحة  
وحملتها نحوي ، فلم ألبث أن التفتتها مبتسما كأن الأميرة  
أولئها من الآلهة قد قدمها إليّ . ثم خرجت من الصدارة  
التي كانت تشل حركتي وأحطت خصري بهذه الطرحة ممرًا  
طرفها بين فخذي ، ثم آخذًا له إلى أمام حتى أثبتته عند  
الخصر ، أخيل بذلك أن الحياء هو الذي يدفعني إلى هذا

الصنيع لأستر من جسمي مالا ينبغي أن يرى ، ولكني في حقيقة الأمر إنما أردت أن أخفي منطقة من الجلد كنت قد استبقيتها ، وكنت قد علقت بهذه المنطقة كيساً صغيراً من الجلد . ولم أكن قد أحرزت في هذا الكيس شيئاً من النقد ، وإنما أحرزت فيه طائفة من الأحجار الكريمة اصطحبتها من بلاد اليونان ثقة مني بأن الأحجار الكريمة تحتفظ بقيمتها في كل مكان .

ثم تنفست تنفساً عميقاً ، واندفعت إلى البحر فغصت فيه . غصت فيه ممعناً في الغوص وكنت في ذلك ما هراً ، ثم لم أطفُ على سطح الماء إلا بعد أن استخرجت من الكيس ثلاثة أحجار من نفيس الجواهر أحدها من عقيق الجزع والآخران من العقيق الأخضر ، فلما بلغت الساحل قدمت في ظرف إلى الملكة عقيق الجزع وإلى كل من الأميرتين حجراً آخر ، مظهراً أنني قد استخرجتها من

القاع ، بل مظهراً أن يوسيدون قد قدمها إلى لأهديها إلى هؤلاء السيدات . ولم يكن بد من هذه الحيلة ؛ فلم يكن من السائع أن توجد في أعماق البحر عند جزيرة أقریطش هذه الأحجار النادرة في بلادنا ، فضلاً عن أن أجِد الوقت لتخيرها تحت الماء . وكان هذا أدلّ من الامتحان نفسه على أنى من نسل إلهى .

هنالك رد مينوس إلى سيفى .

ثم حملتنا العربات بعد قليل إلى كنوسوس .

وكنـت مجهوداً قد بلع بـى الإعياء أقصاه ، حتى لم  
أدهش لهذا الفناء العظيم المنبسط أمام القصر ولهذا السلم  
الضخم ذى العمـد الدقاق ، وهذه الدهاليز الملتوية التى  
كان يقودنى فيها خـدم خفاف يسعون بين يدىّ بالمشاعل  
حتى انتهوا بى إلى الغرفة التى هيئت لى فى الطابق الثانى  
والتى كانت تضيئها جماعة من المصابيح . فلم أكـد أدخلها  
حتى أطفئت كلها إلا واحداً . وعلى مضجع وثير عطر  
غرفت منذ تركونى فى نوم عميق حتى كان المساء من غد ،

ومع ذلك فقد نمت في العربية نوما طويلا ، فلم نصل إلى كنوسوس إلا حين أسفر الصبح ، وبعد سفر أنفقنا فيه الليل كله . ولست آلف الغربية ، فلم ألبث أن لاحظت في قصر مينوس أني يوناني وأحسست اني غريب . وكنت أدهش لكل ما ليس لي به عهد من الأزياء والعادات ، وما يتخذ الناس في سيرتهم من الصور والحركات والآثاث ( وكان الآثاث في قصر أبي قليلا ضئيلا ) كما كنت أدهش للأدوات وطرق استعمالها . كنت أرى نفسي متوحشا بين هذا الترف الرقيق ، وكان خطي يزداد كلما دعا إلى الابتسام ، وقد كنت متعودا أن أتناول الطعام بغير أداة ، أحمله إلى فمي بأصابعي ، وكنت أجدهذه الشوك المعدنية أو الذهبية المنقوشة وهذه السكاكين أثقل تصريفاً عليّ حين أجلس إلى المائدة من السلاح حين كنت أصرقه في الميدان . وكانت النظرات توجه إلى وتثبت فيّ ، وكنت أمعن في

الخطأ حين كنت أشارك في الحديث . يا للآلهة ! لقد كنت أجد نفسي في غير موضعي . وأنا الذي لم يحسن قط شيئاً إلا أثناء الوحدة ، أصبحت أراني أشارك في حياة اجتماعية . ولم يكن المهم أن أجاهد وأن آتخذ القوة وسيلة إلى الفوز ، وإنما كان المهم أن أعجب ، وكنت قليل العلم بوسائل ذلك إلى حد بعيد .

وقد أجلسنا إلى مائدة العشاء بين الأميرتين ، وكان العشاء فيما قيل بسيطاً ، عشاء أسرة لا تكلف فيه . والواقع أن أحداً لم يشهده إلا الملك والملكة ، ورادامانت أخو الملك والأميرتان وأخوهما الصبي جلوكوس<sup>(٤٨)</sup> ومربيه اليوناني الكورنثي الذي لم يُعَنَ أحد بتقديمه إلى .

وقد دعيت إلى أن أقص في لغتي ( التي كان أهل القصر يفهمونها ويتكلمونها على أحسن وجه مع شيء قليل من

انحراف اللسان) ما كان يسمى حسن بلائى . وقد سررنى أن رأيت الأميرة الفتاة فيدر وأخاها جلوكوس يضحكان حين كنت أقص تمثيل بروكروست بضحاياها وإخضاعى إياه لنفس المثلة حين كنت أقطع من أطرافه ما كان يتجاوز مضجعه . ولكنهم تجنبوا من شىء من الرقة أن يثيروا إلى المهمة التى جاءت بى إلى أقریطش ، ولم ينظروا إلىّ إلا على أنى مسافر ضيف .

ولم تنقطع أريان طوال العشاء عن مداعبة ركبتى بركبتها تحت غطاء المائدة ، ولكن الحرارة التى كانت تذبث من فيدر الفتاة هى التى كانت تشيع فى القلق ، على حين كانت باسيفاييه الملكة جالسة أمامى تزدردنى بلحظها ازدراداً ، وكان مينوس إلى جانبها يحتفظ على ثغره بابتسامة صافية لا تعرف الكدر . أما رادامانت ذو اللحية الطويلة الشقراء ، فقد كان وحده يظهر شيئاً

من العبوس . وقد انصرف الملك وأخوه عن غرفة المائدة بعد الصنف الرابع لأنهما كانا مضطرين فيما كانا يقولان إلى الجلوس للقضاء . ولم أفهم إلا أخيراً معنى ما كانا يريدان . لم أكن قد برئت بعد من ألم البحر ، وقد أكلت كثيراً وشربت أكثر مما أكلت ألواناً مختلفة من الحمر وفنوناً أخرى من الأشربة ، بحيث لم يمض إلا وقت قصير حتى دارت بي الأرض وأنكرت نفسي ؛ فلم أعود من قبل أن أشرب غير الماء أو النبيذ المقتول . ولما كدت أفقد الصواب وكنت محتفظاً بفضل من قوة يمكنني من النهوض ، استأذنت في الخروج . هنالك قادتني الملكة إلى حمام صغير متصل بمنزلها من القصر . فلما تخففت مما كان يثقلني بقيء غزير لحقت بها في غرفتها فأجلستني إلى جانبها على فراش وثير وأخذت تتحدث إلي . قالت :

— أي صديقي الشاب . . . أتأذن في أن أدعوك



بهذا الدعاء لننتفع مسرعين بهذه اللحظة القصيرة التي يخلو فيها كلانا إلى صاحبه ! لست كما تظن ولست أريد شخصك بريئة على ما أتيح لك من جمال وفتنة .

وعلى إلحاحها في أنها لم تكن تتجه إلا إلى نفسى أو إلى شيء لا أعرفه في أعماق ضميرى ، لم تر بأساً بأن ترفع يدها إلى جبهتى . ثم تدسها من دون صدارتى الجلدية متحسسة عضلات صدرى كأنها تريد أن تثبت من محضرى . قالت :

— لست أجهل ما جاء بك إلى هذه الجزيرة ، وأريد أن أتقى خطأ . فقد أقبلت مزمعا القتل . أقبلت تريد أن تصارع ابنى . ولست أعلم بماذا حدثت من أمره ، وليس يعنينى أن أعلم . آه لا تصم أذنيك عما يوجه إليك قلبى من دعاء . ليكون المينوتور هو الوحش الذى صور لك أو لا يكن ، فإنه ابنى .

وهنا رأيت من حسن الذوق أن أقول إني أحب  
الوحوش ! ولكنها مضت في حديثها دون أن تسمع لى :  
— افهم عني ! إني أضرع إليك ! إن لى طبيعة  
متصوفة تحب بل لا تحب إلا ما يتصل بالآلهة . والشئ  
الذى يغيظ هو أننا لا نعلم أين يتسدى الإله ولا  
أين ينتهى . وقد أطلت عشرة قريبتى ليدا<sup>(٤٩)</sup> ومن  
أجلها اتخذ الإله صورة بجمعة . وقد فهم مينوس طمعى  
فى أن ألد له وارثاً من أبناء الآلهة . ولكن كيف السبيل  
الى أن نميز ما يبقى من الحيوان فيما يلتقى الآلهة أنفسهم فى  
الأرحام ؟ وإذا كان قد كتب على أن أندم على خطئى  
— وأنا أشعر بأن تحدثنى إليك على هذا النحو يسلب  
الامر كل عظمتة — فإني أوكد لك أى ثيسوس أن  
الامر كان إلهياً حقاً فى اللحظة نفسها . فقد ينبغى أن  
تعلم أن ثورى لم يكن حيواناً عادياً . كان پوسيدون قد

قدمه إلينا . كان يجب أن نرده إليه قرباناً ، ولكن مينوس  
 رآه أجمل وأروع من أن يضحى به . وهذا هو الذى  
 حملنى فيما بعد على أن أفسر زلتى بأنها كانت انتقاماً من  
 الإله . وأنت لا تجهل أن حماتى أوروب<sup>(٥٠)</sup> قد اختطفها  
 ثور تقمصه ذوس . ومن زواجها بهذا الثور ولد مينوس  
 نفسه . وهذا هو الذى حمل أسرته على أن تعظم أمر  
 الثيرة . فلما ولد المينوتور ورأيت الملك يقطب حاجبيه  
 لم يكن لى إلا أن أقول له : وأملك ما خطبها ؟ وكان من  
 الحق عليه أن يفهم أن من الممكن أن أكون قد أخطأت  
 وهو رجل حكيم ، وهو يعتقد أن ذوس قد ولاه مع أخيه  
 رادامانت القضاء فى دار الموتى . وهو يرى أن من الحق  
 أن يفهم الإنسان قبل أن يقضى ويقدر أنه لن يكون  
 قاضياً عدلاً إلا بعد أن يمتحن فى نفسه أو فى أسرته بكل  
 ألوان المحن . وفى هذا تشجيع عظيم لذوى قرابته ،

فأبناؤه وأنا ، على ما يكون بيننا من اختلاف الأمزجة  
والأهواء ، نعمل بأغلاطنا الخاصة لنحسن إعداده لمنصبه  
المنتظر . والمينوتور نفسه يشارك في ذلك عن غير علم .  
ومن أجل ذلك أطلب إليك يا ثيسوس ، بل أتوسل إليك  
لا في ألا تسوءه بل في أن تصالحه وتتفق معه على نحو  
يمحو الخصومة بين اليونان وأقريطش ، ويزيل آثارها  
المنكرة في البلدين .

كذلك كانت تتحدث معلة يدها في إلحاح من دون  
صدارتي حتى ضقت بذلك أشد الضيق ؛ فقد كنت متأثراً  
ببخار النبيذ وبهذا العطر الأرج الذي كان يفلت مع  
ثديها من قرطقها المفتوح . قالت :

— لنعد إلى الأمر الإلهي ؛ فقد يجب دائماً  
أن نعود إليه . وكيف لا تشعر يا ثيسوس بأن إلهاً قد  
تقصصك ؟ . . .

وكان مما يزيد نفسي ضيقا أن أريان ذات الجمال الرائع  
 الفاتن — وإن كنت أوتر أختها الصغرى — كانت قد  
 واعدتني باللحظ واللفظ على أن نلتقي في الحديقة بعد  
 أن أفيق .

أى حديقة ! ولاى قصر ! يا لها جنة مشوقة قد تعلق  
 بانتظار شىء لا أدري ما هو . . . تحت ضوء القمر . كان  
 ذلك فى شهر مارس ، وكان الربيع قد أخذ يتحقق فى دفء  
 حلو . ولم أكد ألقى الهواء الطلق حتى انجلى عني كل ضيق .  
 فلست آلف الحياة فى أعماق الدور ، وإنما أوثر أن أتنفس  
 ملء رئتي . وقد أسرعت إلى أريان ثم ألصقت فى لهفة  
 وعنف شفتيها إلى شفتي حتى كدنا نسقط جميعا . قالت :  
 — هلم . لا على أن يرانا الرءاون . ولكن ظل  
 الضرم أوفق للحديث .

ثم هبطت بي درجات وقادتني إلى مكان من الحديقة  
يشتهد فيه التفاف الشجر حتى يخفى القمر دون أن يخفى  
انعكاس ضوءه على البحر ، وكانت قد استبدلت من ثوبها  
النصفى ذى الأطواق ومن منطقتها الصلبة ثوباً واسعاً  
فضفاضاً كانت تحس من دونه عارية . قالت :

— أ كاد أعرف ما تحدثت إليك به أُمى . إنها  
مجنونة . مجنونة تستحق القيد ، وما ينبغي أن تحفل بما  
تقول . فاعلم أولاً أنك معرض هنا لخطر عظيم . فأنا أعلم  
أنك أقبلت لتصارع المينتور أخى لأمى ، وإنما أريد  
منفعتك ، فأحسن الإصغاء إلى . وأنا واثقة بأنك  
ستظهر عليه ،

فراك يثبت أن فو زك واقع لا شك فيه

ألست ترى أن هذه الجملة تزن بيتاً جميلاً من

الشعر؟ الست رقيق الحس؟ ولكن أحداً قبلك لم يستطع الخروج من اللايرنت<sup>(٥١)</sup> داره التى يسكنها ولن تستطيع أنت أن تخرج من هذه الدار إلا أن أعينك أنا ، أنا خليلتك ، أنا التى ستصبح خليلتك . ليس من اليسير أن ترسم لنفسك صورة مقاربة للآيرنت . سأقدمك إذا كان الغد إلى ديدال وسيصفها لك . فهو الذى بناها وهو نفسه لا يستطيع الآن أن يهتدى فيها إلى طريقه . وسينبئك كيف ضل فيها ابنه إيكار<sup>(٥٢)</sup> حتى لم يستطع أن ينجو منها إلا طائراً فى الهواء بجناحين . ولكنى لا أجرؤ على أن أشير عليك بالطيران فإنه مغامرة خطيرة . والشئ الذى يجب أن تفهمه منذ الآن هو أن أملك الوحيد فى النجاة رهين بالآ تتركى . لقد توثقت بينك وبينى منذ الآن صلة لا تنقسم ولا ينبغي أن تنقسم بحياة أو موت . لن تجد نفسك إلا بمعونتى إلا نى ،



إلا في . هذا شيء يجب أن تأخذه أو تدعه ليس لك من دون ذلك خيار ، فإذا تركتني فالويل لك . وإذن فهيت لك .

ثم أقبلت على غير حافلة بشيء واستسلمت لي محتفظة بي بين ذراعيها حتى أسفر الصبح .

ويجب أن أعترف بأن وقت هذا اللهو قد طال على . فلم أحب قط الإقامة حتى في ظلال النعيم ، وإنما أنا مشغوف بالتنقل متى ذهبت عنى جدة ما ألقى من الأمر . ثم جعلت تقول : « لقد وعدتني » . ولم أكن قد وعدت بشيء ، وإنما كنت حريصا على أن أستبقى حرיתי فلست مدينا بنفسى إلا لنفسى .

ومع أن قوتي على الملاحظة كانت لا تزال مغطاة ببخار السكر ، فقد خيل إلي أنها استسلمت في يسر حتى لم أعتقد أنني كنت السابق إلى رضاها . وهذه الملاحظة هي

التي طوّعت لي فيما بعد أن أخلص من أريان . وفوق ذلك فما أسرع ما ضقت بإسرافها في تكلف الرقة ! ضقت بإلحاحها في تأكيد حبها الأبدي ، وبهذه الأسماء الحلوة التي كانت تدعوني بها . فقد كنت مرة متاعها الوحيد ، ومرة كنّارها ، ومرة كليها ومرة صقيرها ومرة قصيبتها . ولست أبغض شيئاً كما أبغض هذه الألفاظ المصغرة . ثم إنها كانت مشغوفة بالأدب . فقد كانت تقول لي : « أي قلبي الصغير ، سيدبل زهر السوسن عما قريب . » على حين أن هذا الزهر كان قد بدأ يتفتح . وأنا أعلم أن كل شيء ينضى ، ولكني لا أحفل إلا بالساعة الحاضرة . وكانت تقول لي أيضاً : « لن أستطيع أن أعيش بدونك . » وكان هذا يدفعني على ألا أفكر إلا في أن أعيش بدونها . وقد سألتها :

— ما عسى أن يقول أبوك الملك إن عرف هذا ؟

فأجابت :

— تعلم أيها الحبيب أن مينوس يحتمل كل شيء ، فهو يرى أن أحكم الحكمة أن يقبل الإنسان ما لا يستطيع له ردا . لم ينكر شيئا حين عرف مغامرة أمي مع الثور ، وإنما زعم — كما حدثتني أمي — أنه لا يستطيع أن يمضي في محاورتها . ثم أضاف : « قد كان ما كان ، وليس إلى استدراكه من سبيل . » وسيقول هذا القول نفسه بالقياس إلينا . وأقصى ما في الأمر أن يطرده من قصره . وأي بأس بهذا سأتبعك حيثما تكون .

وكنت أقول في نفسي : سري !

وبعد أن أخذنا بمحظنا من طعام يسير ، سألتها أن تصحبني إلى ديدال ، وأنبأتها بأنني أريد أن أخلو إليه وأدير معه الحديث ؛ ولم تتركني إلا بعد أن أقسمت لها باسم بوسيدون على أني سألقاها في القصر بعد قليل .

لقد نهض ديدال لاستقباله حين فاجأته في حجرته  
المظلمة مقبلا على لويجات من الرصاص أمامه قد انتشرت  
من حولها أدوات غريبة . وهو رجل طوال ، لم تنحن  
قامته على تقدم سنه ، وهو يحمل لحية أطول من لحية مينوس  
وكانت سوداء ، على حين كانت لحية رادامونت شقراء ،  
أما لحية ديدال فكانت مفضضة . وجهته العريضة تشقها  
أخاديد أفقية ، وحاجباه المختلطان يكادان يحجبان نظراته  
حين يتخفص رأسه . وهو طويل الحديث عميق الصوت .  
ويفهم محدثه أنه حين يصمت ، فإنما يفعل ذلك ليفكر .

وقد بدا فأثنى على حسن بلائى الذى وصلت أخباره إليه ، فيما قال ، على اعتزاله وانقطاعه عن الناس . وأضاف إلى ذلك أنى أبدو له أبله بعض الشيء ، وأنه لا يقدر حسن اصطناع السلاح ولا يرى أن قيمة الإنسان فى قوة ذراعيه . قال :

— وقد رأيت قديماً سلفك هيرقل ، وكان أبله لا يستطيع أن يعطى شيئاً غير البطولة . وإنما أحببت منه ما أحب منك هذا الإقدام على غاية فى غير تردد ولا تراجع ، بل هذا التهور الذى يدفعكما إلى أمام ويظهركما على العدو بعد أن ينصركما على ما فى نفوسنا جميعاً من الجبن . وكان هيرقل أشد منك مباشرة وأحرص منك على الإتيقان ، حزينا بعض الشيء ، ولا سيما بعد أن يتم عمله . أما ما أحب منك فهو هذا الابتهاج الذى يميزك من هيرقل . ويعجبني منك أنك لا تريد أن تعوق نفسك

بالتفكير ؛ فالتفكير حظ قوم آخرين لا يعملون ولكنهم  
ينشئون للعاملين ما يدفعهم إلى العمل .

أتعلم أن بيننا نسبا ، وأنى — لا تُعِدُّ ذلك على  
مينوس ؛ فهو لا يعرف من ذلك شيئاً — أنى يونانى ؟  
وقد أسفت حين اضطررت إلى ترك أتيكا فى أثر خصومة  
شجرت بينى وبين ابن أخى تالوس<sup>(٥٣)</sup> وكان مثالا مثلى  
منافسالى ، وكان قد ظفر بإيثار الشعب لأنه كان يحتفظ  
للآلهة بشيء من المهابة الرهيبة ، يتوسل إلى ذلك  
بإمسالك تماثيلهم بمناطق ضيقة تأخذ أجسامهم من أسفلها  
فتمنعهم من الحركة على حين كنت أنا أطلق أعضاءهم  
فأقربهم منا ، حتى تجدد بفضلى ذلك التجاور بين الأولمب  
والأرض ، وكنت من جهة أخرى أحاول أن أتخذ العلم  
وسيلة إلى أن يصبح الناس أشباها للآلهة .

فقد كنت فى سنك ، حريصاً قبل كل شيء على أن

أَتَعْلَمُ ، وما أسرع ما أَسْتَيْقَنْتُ بِأَنَّ قُوَّةَ الْإِنْسَانِ لَا تَغْنَى  
أَوْ لَا تَكَادُ تَغْنَى عَنْهُ شَيْئًا إِلَّا إِذَا أَعَانَتْهَا الْآلِهَةُ ، وَأَنَّ  
الْمِثْلَ الَّذِي يَقُولُ : « إِنِ الْآدَاءَةُ أَجْدَى مِنَ الْقُوَّةِ » لَمْ يَكُنْ  
مُخْطِئًا . وما كنت لتَقْهَرُ قِطَاعَ الطَّرِيقِ فِي الْبُلْغُونِزِ أَوْ  
فِي أَتِيكَا لَوْ لَمْ تَعْنِكَ عَلَى ذَلِكَ الْأَسْلِحَةُ الَّتِي وَعَدَكَ بِهَا  
أَبُوكَ . وكذلك فَكَّرْتُ فِي أَنِّي لَنْ أَغْنَى شَيْئًا إِذَا لَمْ أَجِدْ  
مَا أَصْطَنَعُ مِنْ أَدَاةٍ ، وَأَنَّ سَبِيلَ ذَلِكَ هُوَ أَنْ أَتَقَنَّ  
الْحِسَابَ وَالْمِيكَانِيكَ وَالْهَنْدَسَةَ ، كَمَا يَتَقَنَّهَا الْمَصْرِيُّونَ عَلَى  
الْأَقْلَ ، فَهَمَّ يَنْتَفِعُونَ بِهَا انْتِفَاعًا عَظِيمًا ، ثُمَّ فَكَّرْتُ فِي  
أَنِّي لَنْ أَتَنْفَعُ بِهَذِهِ الْعُلُومِ فِي الْحَيَاةِ التَّطْبِيقِيَّةِ إِلَّا إِذَا  
تَعَرَّفْتُ خَصَائِصَ الْأَجْسَامِ وَمُمَيِّزَاتِهَا ، حَتَّى الْأَجْسَامَ الَّتِي  
لَا يَظْهَرُ أَنَّهَا فِي حَاجَةٍ عَاجِلَةٍ إِلَى اسْتِخْدَامِهَا . فَقَدْ  
يَسْتَكْشِفُ فِي هَذِهِ الْأَجْسَامِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَزَايَا لَمْ يَكُنْ  
نَتَوَهَّمُهَا مِنْ قَبْلُ ، شَأْنُهَا فِي ذَلِكَ شَأْنُ النَّاسِ أَنْفُسِهِمْ .

وكذلك أخذ حظي من المعرفة يتسع ويقوى .  
ثم أردت أن أعرف مهناً وصناعات وأقاليم ونباتات  
أخرى ، فزرت بلاداً بعيدة تلمذت فيها لعلماء أجانب ، لم  
أفارق أحداً منهم إلا بعد أن استقصيت ما كان عنده من  
العلم . ولكنى بقيت يونانياً حيثما ذهبت وحيثما أقمت ،  
ومن هنا عنيت بك أيها النسيب لأنك يونانى .

فلما رجعت إلى أقریطش تحدثت إلى مينوس عن  
أسفارى ودراساتى ، ثم أفضيت إليه بشئ كنت أزمعته  
وسألته أن يعيننى على تحقيقه ، فيقدم إلى ما يحتاج إليه  
من مال وأداة ، وهو أن أبنى وأنظم إلى جانب قصره  
داراً تشبه اللايرنت الذى رأيت وأعجبت به فى مصر على  
شألى . بحيرة موريس<sup>(١)</sup> على اختلاف فى الرسم . فى ذلك  
الوقت كان مينوس محرجاً فقد ولدت له الملكة هذا  
الوحش الذى يسمى المينوتور ، وكان الملك يود لو



استطاع أن يخفى هذا الكائن الغريب على أعين الناس .  
 فتقدم إلى أن أقيم له بناء تحيط به حداثق غير  
 مسورة ، ولكنه مع ذلك يمسك المينوتور في غير سجن  
 دون أن يستطيع الخروج منه ، فأنفقت في ذلك ما كنت  
 أملك من عناية ودراية .

وقد قدرت أن ليس هناك سجن يستطيع أن يمتنع  
 على رغبة السجين في الفرار ، وأن ليس هناك أسوار ولا  
 خنادق تستعصى على الجراءة والعزم ، فرأيت — وأرجو  
 أن تحسن الفهم عني — أن الخير أن أقيم البناء وأنظمه  
 بحيث لا يكون معجزاً لساكنة عن الهرب بل مانعاً له  
 من التفكير في الهرب . فجمعت في هذا البناء ما يستجيب  
 لشهوات الإنسان على اختلافها . وليست شهوات  
 المينوتور كثيرة ولا شديدة الاختلاف ، ولكن كان على  
 أن أفكر في الناس جميعاً وفي كل من يقضى عليه أن

يدخل اللايرنت . وكان يجب أيضاً بل قبل كل شيء أن  
أضعف إرادتهم . ومن أجل ذلك ركبت ألواناً من  
العقاقير يمزج فيما يدار عليهم من نبيذ . ولكن هذا  
كله لم يكن كافياً ، فوجدت أكثر منه . وكنت قد  
لاحظت أن هناك ألواناً من النبات إذا أُلقيت في النار  
أثارت وهي تَحترق دخاناً مخدراً بعض الشيء ، فرأيت أنها  
عظيمة النفع فيما كنت أحاول من الأمر ، وقد استجابت  
بالضبط لما دعوتها إليه ، فاتخذت موافق لا تخمد نارها  
في ليل أو نهار وغذوتها بهذه النباتات . والأبخرة التي  
تصاعد منها لاتنيم الإرادة وحدها ، ولكنها تشيع سكرًا  
خلاباً ، وتدفع إلى فنون من الخطأ المغري ، وإلى ضروب  
من النشاط الفارغ تصدر عن رؤس قد شملها الذهول  
وعبث بها الشراب . ضروب من النشاط الفارغ ، لأنها  
لا تنتهي إلى شيء إلا أن يكون وهما ، ولا تثير إلا

مناظر لا تثبت ، لا تنتهى إلى غاية ولا تعتمد على منطق . وتأثير هذه الأبحرة ليس متفقاً بالقياس إلى الذين يخضعون له جميعاً ، وإنما هو يختلف باختلافها وينشأ عنه اختلاط غريب يجعل لكل واحد لا يبرنته الخاص . وقد كان اختلاط ابني إيسكار فلسفياً يرقى إلى ما بعد الطبيعة . أما أنا فأرى أبنية ضخمة وجمعاً من القصور المتراكمة تختلط فيها السلام والدهاليز . . . بحيث انتهى هذا كله في تخليط ابني إلى مأزق تتبعه خطوة غامضة إلى أمام . ولكن أشد من هذا كله غرابة أن هذه العطور إذا استنشقتها الإنسان حيناً لم يستطع أن يستغنى عنها ؛ لأن الجسم والعقل قد اتخذ منها متاعاً لا قيمة بإزائه للحياة الواقعة ولا رغبة في العودة إليها ، وإنما هو البقاء والبقاء المتصل في اللايرنت ، ولما كنت أعلم أنك تريد أن تنفذ إليه لتصارع فيه المينوتور فقد أردت أن أظهر لك

على جلية الامر . وما أطلت عليك الحديث إلا لا حذر لك ؛  
 فلن تستطيع أن تخرج منه وحدك بل يجب أن  
 تصحبك أريان . ولكنها يجب أن تبقى على عتبة الدار  
 بحيث لا تشم هذا الارج . فيجب أن تحتفظ بعقلها  
 وصوابها في الوقت الذي تخضع أنت فيه للسكر . ولكن  
 اجتهد في أن تملك أمرك حتى حين يأخذك السكر ، هذا هو  
 المهم . وقد لا تعينك إرادتك على ذلك ، فقد قلت : إن  
 هذا الدخان يضعفها ، فقد خطر لي أن أجمع بينك وبين  
 أريان بخيط يمثل الواجب تمثيلا مُحَسَّسًا . هذا الخيط  
 يمكنك بل يضطرك إلى أن تعود إليها بعد أن تكون قد  
 بعدت عنها . واحرص على كل حال على ألا تقطعه مهما  
 يحط بك من الظروف ، ومهما تلح عليك المغريات ، ومهما  
 تدفعك إليه شجاعتك من مغامرة . عد إليها وإلا ذهب  
 عنك كل شيء ، بل ذهب عنك الخير كله . سيكون هذا

الخيوط وصل ما بينك وبين الماضي . فعد إليه ، عد إلى نفسك . فلا شيء ينشأ من لا شيء ، ولن يعتمد مستقبل أمرك إلا على ماضيك الذي كنت فيه وحاضرك الذي أنت عليه .

وقد كنت خليقاً أن أحدثك أقل مما حدثتك لو أنني عُنيت بك أقل مما اعنى بك في حقيقة الأمر . ولكني أريد قبل أن تستقبل مصيرك أن تسمع لحديث ابني فستحقق حين تسمعه مقدار الخطر الذي أنت مقدم عليه وإن كان هو قد استطاع بفضلِي أن يفلت من فتنة اللايرنت ولكن عقله على ذلك قد ظل خاضعاً لِسحر هذه الفتنة .

ثم اتجه إلى باب منخفض وأزاح ما كان يغطيه من أستار وقال في صوت رفيع :

— أي إيكار ، أي بُنَيّ العزيز ، أقبل واعرض

علينا ما يساورك من القلق ، بل امض كما تفعل في أثناء  
 وحدتك في حديثك إلى نفسك دون أن تحفل بي ولا  
 بضيفي . هبنا غير حاضرين .



رأيت فتى يقبل وهو يوشك أن يكون في سنى وقد  
ظهر في هذا الضوء الضئيل رائع الجمال . وكان شعره  
الاشقر الطويل يتدلى خصلا على كتفيه . وكان لحظه  
الثابت يظهر كأنه لا يقف عند الأشياء . وكان طاريا إلى  
موضع النطاق قد شد حول خصره منطقة ضيقة من  
المعدن . وقد ظهر لى أن إزاراً واسعاً من نسيج أسود  
ومن جلد يأخذ من أعلى وركيه وقد جمع طرفاه بعقدة  
ضخمة . وقد وقفت عيناي على حذاءين من جلد أبيض  
كانا يشيران إلى أنه يتأهب للخروج ، ولكن عقله



وحده كان يسمى ، ولم يكن يظهر عليه أنه يرانا . وكان يقول ماضياً فيما كان يدير عقله من حديث :

— أيهما بدء الوجود : الرجل أم المرأة ؟ أيمكن أن يكون الخالد مؤنثاً ؟ أيتها الصور الكثيرة أى أم هائلة أخرجتك من أحشائها ؟ وأى مبدأ والد ألقاك فى هذه الأحشاء ؟ يا لها تثنية غير معقولة ، وإذن فالإله هو الطفل . إن عقلى يرفض أن ينقسم الإله . فإن قبول الانقسام معناه الصراع . كل ما للإله فهو للحرب . ليست هناك آلهة وإنما هو إله واحد . إن تسلط الإله هو السلام ، كل شيء يأوى ويألف فى الإله الواحد .

ثم سكت حيناً واستأنف قائلاً :

— لا جل أن نحقق الإله يجب على الإنسان أن ينحاز وأن يضيق ؛ فليس الإله إلا متفرقا . إن الآلهة

منقسمون . الإله الواحد لا حد له . الآلهة الكثيرون  
مجليون .

ثم عاد إلى الصمت واستأنف الحديث في صوت قلق  
ولكن متقطع .

— ولكن ماسر هذا كله أيها الإله الواضح؟ ما أصل  
هذا العناء؟ ما أصل هذا الجهد؟ ونحو ماذا؟ ما علة  
الوجود؟ وما علة البحث عن علة لكل شيء؟ كيف  
نتجه؟ وأين نقف؟ متى نستطيع أن نقول لقد انتهى كل  
شيء آمين! كيف الوصول إلى الإله حين نبدأ من  
الإنسان؟ وإذا بدأت من الإله فكيف أصل  
إلى نفسي؟ ولكن أليس من الممكن أن يكون الإله  
من صنع الناس كما أن الناس من صنع الإله؟ في  
مفترق الطريق هذا، في قاب هذا الصليب يريد عقلي  
أن يثبت .

وكان وهو يتحدث على هذا النحو يتصبب عرقاً وتظهر عروق جبهته منتفخة ، أو ظهر لى ذلك على الأقل ، فلم أكن أستطيع أن أتبينه فى الضوء الضئيل ، ولكنى كنت أسمعه يلهث كمن بذل جهداً عظيماً . ثم سكت لحظة واستأنف قائلاً :

— لست أدرى أين يبدأ الإله وأنا أقل علماً بأين ينتهى ! بل لعل أحسن التعبير عما فى نفسى إن قلت إن بداءته لا تنتهى . آه ! لقد سكرت بإذن وبلش وبما دام ! وبهذا التخليط والاستنتاج . لن أصل إلى قياس أجمل من الذى وصلت إليه أول الأمر . فإذا كنت قد وضعت فيه الإله فأنى واجده . ولا أجده إلا إن وضعته . لقد جبت طرق المنطق كلها فى اتجاهها الأفقى حتى تعبت من الاستقار . إنى لأزحف ، إنى لأريد أن أضع ، أن أخلص من ظلى ، من مادتى القدرة ، أن أتخفف من ثقل

ماضى ، إن أفق السماء ليدعوني . يا للشعر ! يخيل إلى أن  
نفسا علوياً يجذبني . أى عقل الإنسان : لأصعدن إلى  
حيث تستطيع أن ترقى . إن أبى الخبير فى الرياضة سيهين  
لى الوسيلة إلى ذلك . سأذهب وحدى . أن لى من الجراءة  
ما يمكننى من هذا . سأؤدى الثمن . لا سبيل إلى الخروج  
من هذا . أيها العقل الرائع الذى طال تخبطه فى المشكلات  
ستندفع فى طريق غير معبدة . لست أدرى ما هذا السحر  
الذى يدعونى ، ولكنى أعلم أن ليست هناك إلا غاية  
واحدة هى الإله .

ثم تركنا راجعا أدراجه حتى بلغ الأستار فآزالها  
واستخفى من دونها وردّها كما كانت . قال ديدال :

— يا له من طفل بائس عزيز ! لم يكن يدرى كيف  
يفلت من اللايرنت ؛ لأنه لم يكن يعلم أن اللايرنت  
إنما هو فى نفسه ، فصنعت له مستجيبا لدعائه جناحين

يتيحان له أن يطير . كان يرى أن لا طريق له إلا السماء  
بعد أن أخذت عليه طرق الأرض . وكنت أعرف فيه  
نزعة صوفية ، فلم تدهشني رغبته . رغبته لم تبلغ غايتها  
كما رأيت ؛ فعلى رغم تحذيري أراد أن يصعد أكثر  
مما ينبغي ! أسرف في تقدير قوته فهو إلى البحر . وفيه  
لقي الموت . صحت دهشا .

— كيف يكون ذلك ؟ لقد رأيتَه الآن حيا !

أجاب :

— نعم ! لقد رأيتَه الآن وخيّل إليك أنه حي ولكنه  
قد مات . وهنا أخشى يا ثيسوس ألا يستطيع عقلك ،  
على أنه يوناني دقيق متقبل للحقائق كلها ، ألا يتبعني ؛  
فأنا نفسي قد احتجت إلى وقت طويل لأفهم ما يأتي  
وأطمئن إليه . كل واحد منا لا يحيا حياته الخاصة المقسومة  
له إذا تبين أن ميزانه ثقيل حين توزن النفوس . فهو في

حياته الإنسانية ينمو ويتم ما كتب له ثم يموت . ولكن  
الزمن نفسه لا يوجد بالقياس إلى حياة أخرى ، وهي  
الحياة الصحيحة الخالدة التي ترسم فيها كل حركة بمعناها  
الدقيق الذي تدل عليه . فقد كان إيكار قبل أن يولد ،  
وهو الآن بعد أن مات ، صرورة القلق الإنسانية والبحث  
والطموح والشعر ، وهو قد تقمص هذا كله أثناء حياته  
القصيرة . أدى مهمته كما كان ينبغي أن يؤديها ، ولكن  
أمره لا يقف عنده وحده ، كذلك شأن الأبطال  
جميعاً ؛ فإن أعمالهم تبقى ثم يتناولها الشعر والفن فتصبح  
رموزاً خالدة . ومن هنا ظل أوريون <sup>(٥٥)</sup> الصائد يتتبع  
في حقول البرواق في دار الموتى تلك الوحوش التي قتلها  
في حياته على حين صارت صورته نجماً في السماء . ومن هنا  
ظل تثنال <sup>(٥٦)</sup> ظمئاً إلى آخر الدهر ؛ وظل سينريف <sup>(٥٧)</sup>  
يرفع نحو القمة التي لا تُسأل ، صخرته الثقيلة التي

لا تكاد تبلغ القمة حتى تهوى ، تصور بذلك ذلك الهمّ  
الملحّ الذى لزم سيزيف حين كان ملكا لكورنت . فقد  
ينبغى أن تعلم أن ليس فى دار الموتى عقوبة إلا استئناف  
الاعمال التى لم تتم .

الامر فى ذلك كالامر فى أنواع الحيوان كلها ،  
تموت الأشخاص دون أن يؤثر موتها فى بقاء النوع  
ونموه ؛ فليس بين الحيوان شخص ، على حين أن الفرد  
وحده هو صاحب الخطر فى النوع الإنسانى . ومن  
هنا تستطيع أن تقول إن مينوس يحيا الآن فى مدينته  
كنوسوس حياة هى مقدمة لحياته القضائية فى الدار  
الآخرة ، كما أن پاسيفاييه وأريان تستجيبان لما كتب عليهما  
القضاء . وأنت نفسك يا ثيسوس على ما يظهر وما تعتقد  
من استخفافك بكل شيء ، لن تفلت كما لم يفلت هيرقل  
وچازون <sup>(٥٨)</sup> وبرسيه <sup>(٥٩)</sup> من هذا القضاء الذى فرض على

كل واحد منكم نفسه ، ورسم له طريقه . ويجب أن تعلم — فقد أتيح لي أن أستنبط المستقبل من الحاضر — أن أمامك أعمالاً جليلة يجب أن تتمها ، وهى من نوع آخر يخالف ما قدمت من عمل فيما مضى . أعمال ستصغر أمامها ما شركت التى أتممتها إلى الآن . عليك أن تنشئ أثينا وأن تقيم فيها سلطان العقل .

فلا تضيع وقتك فى اللايرنت ولا تضيعه بين ذراعى أريان حين تخرج من اللايرنت ظافراً . امض لطيتك وانظر الى الكسل على أنه خيانة ، وخذ نفسك بألا تلتمس الراحة إلا حين تتم ما كتب عليك وحين تأوى إلى الموت . وكذلك تستطيع بعد هذا الموت الظاهر أن تستأنف حياة متصلة متجددة فيما يدين الناس لك به من جميل . امض لطيتك ، امض أمامك . امض فى طريقك أيها الفتى الشجاع مجمع المدن .



واسمع لى الآن يا ثيسوس واحفظ ما أقول لك .  
ستنتصر على المينوتور فى أكبر الظن دون كثير عناء ؛  
فليس هو من البأس بحيث يقال . لقد قيل إنه يعيش على  
لحم الإنسان ، ولكن متى رأيت الثيرة تعيش على شىء  
آخر غير ما تنبت المروج ؟ إن دخول اللايرنت يسير ،  
ولكن ليس أشد عسراً من الخروج منه . لا سبيل إلى  
أن يجد الإنسان نفسه فيه إلا بعد أن يضل أول الأمر .  
ولن تستطيع أن ترجع أدراجك فليس للخطو فيه أثر ،  
فيجب إذن أن تصل نفسك بأريان ، بهذا الخيط الذى  
أعددت لك منه قدراً حسناً ، فخذ معك وأرسله كلما  
تقدمت وكلما انتهت خصلة منه فصلها بخصلة أخرى بحيث  
لا ينقطع ، فإذا أردت الرجوع فأدر هذا الخيط قليلاً  
قليلاً حتى تبلغ أوله الذى أمسكت به أريان . لست أدرى  
لماذا أُلحّ إلى هذا الحد ، فكل هذا يسير جداً ، إنما

العسير ان تحتفظ إلى آخر خيط بالعزم الصادق على أن  
تعود . وسيصطلح الأرج وما يبعث في نفسك من نسيان  
وجب الاستطلاع لها وأشياء أخرى كثيرة على إضعاف  
هذا العزم . لقد قلت لك هذا آنفا ، ولم يبق لدى شيء  
آخر . هاك الخيط . وداعاً .

تركت ديدال ولحقت بأريان .



وهذا الخيط هو الذى أثار أول خصومة بين أريان وبينى ؛ فقد أرادت أن أدفعه إليها وأن تحتفظ به فى حجرها زاعمة أن من عمل النساء جمع الخيط وتقريقه ، وأنها فى ذلك ماهرة صناع ، ولكنها فى حقيقة الأمر كانت تريد أن تسيطر على مصيرى ، وهذا هو الشيء الذى لم أكن أرضاه مهما تكن الظروف . وكنت أقدر أيضاً أنها ستحرص على استبقائى فلا ترسل الخيط إلا فى بطء ، وقد تشده إليها إن أرادت فتحول بينى وبين الماضى إلى غايتى كما أريد . وقد أصررت على الامتناع رغم

سلاحها الأخير وهو الذموع ؛ لأنى كنت أعلم أن من شأن النساء إذا نزلت هن عن أيسر الأمر ألا يرضين إلا بأكثره . أسلم هن الأصبع الصغرى فستتبعها اليد ثم الذراع ثم سائر الجسم .

ولم يكن هذا الخيط متخذاً من الكتان ولا من الصوف ، وإنما اتخذه ديدال من مادة صلبة لم يستطع سيفى حين جرّبه أن يصنع فيها شيئاً . وقد تركت سيفى عند أريان مصمماً ، رغم ما بينه لى دايدال من أن الأداة تمنح الإنسان قوة إلى قوة ، على أن أصرع المينوتور بقوة ذراعى وحدها . فلما بلغت مدخل اللابيرانت وهو رواق تزيينه الفأس المثناة وهى علامة شائعة فى الجزيرة ، ألححت على أريان فى أن تلزمه ولا تفارقه ، وقد حرصت على أن تدير الخيط حول معصمى بعقدة زعمت أنها عقدة الزواج ، ثم ألصقت شفتيها بشفتي وقتا

حسبته لن ينقضى . فقد كنت حريصا على أن أتقدم .  
 وكان رفاقي الثلاثة عشر من الفتيات والفتيان وفيهم  
 بيريتوس قد سبقوني . وقد وجدتهم في الحجرة الأولى وقد  
 أذهلهم الأرج . وقد نسيت أن أقول إن ديدال قد أعطاني  
 مع الخيط قطعة من النسيج قد غمسها في مادة مضادة لهذا  
 الطيب ، وألح عليّ في أن أكم بها فمي دائما ؛ وأن أريان  
 كانت قد استأثرت بهذه القطعة أيضا عند الرواق . وبفضل  
 هذه الكمامة استطعت أن أحتفظ بصوابي وإرادتي ،  
 ولكنني كنت أختنق شيئا ، فقد تعودت ، كما قلت ،  
 ألا أجد الحياة الكاملة إلا في الهواء الطلق ، فكان هذا  
 الهواء المغلق يضايقني بعض الشيء .

وتقدمت مرسلا الخيط حتى بلغت الحجرة الثانية ،  
 فإذا هي أشد إظلاما ، ثم بلغت أخرى أشد إظلاما ثم  
 انتهيت إلى أخرى لم أكن أتقدم فيها إلا متحسسا ،

ولكن يدي وهي تتبع الحائط لقيت مفتاح باب أدريته  
فانفتح لي على ضوء ساطع ، وإذا أنا أبلغ حديقة . و أرى  
أمامي على أرض مبسوطة قد نسقت فيها شقائق النعمان  
والخزامى واللسرين والقرنفل ، المينوتور مستلقياً  
مسترخياً . وكان نائماً من حسن حظي . وكنت خليقاً أن  
أتعجل وأن أستفيد من نومه ، ولكن هذا النوم نفسه  
كان يقفني ، وكان الوحش جيلاً وكان أمره كأمر  
السناتور <sup>(٦٠)</sup> قد اجتمعت له والتأمت فيه ملامح من  
الإنسان والحيوان ، وكان شاباً ، وكان شبابه يضيف  
إلى جماله ظرفاً لم أكن أحققه ، وكان هذا كله سلاحاً أقوى  
بالقياس إلى من القوة ، فلم يكن لي بد من أن أستحضر  
شجاعتى كلها . فلا سبيل إلى الجهاد المنتج إلا مع شيء  
من البغض . ولم أكن أستطيع أن أبغضه ، بل لبثت  
وقتاً أمعن النظر إليه ، ولكنه فتح إحدى عينيه

فتبينت أنه أبله ، ورأيت أن قد آن الوقت للإقدام .  
ولست أستطيع أن أذكر ما صنعت ولما كان على وجه  
التحقيق ؛ فقد كانت الكرامة تأخذ على التنفس ، ولكنى  
مع ذلك لم أفات من تأثير الأرج حتى أصابنى من ذلك  
ضعف فى الذاكرة . فاذا كنت قد انتصرت على المينوتور  
فإنى لم أحتفظ من ذلك إلا بأثر مختلط لا يخلو من لذة .  
ولست أبيع لنفسى أن أخترع ولا أن أتكرر ، ولكنى  
أذكر كذلك أن جمال الحديقة كاد يلهينى عن نفسى ، ولم  
أخذ فى إدارة الخيط بعد أن انتصرت على المينوتور لأجد  
أصحابى فى الحجرة الأولى إلا أسفاً . وقد رأيتهم حول  
مائدة قد جمعت عليها ألوان من الطعام لا أدرى كيف  
جاءت ولا من جاء بها ، وهم يزدردون ويعبتون ويعبت  
بعضهم بأجسام بعض ويضحكون كأنهم المجانين أو البله .  
فلما هممت أن أخرجهم أبوا على وأعلنوا إلى أنهم راضون



حيث هم ، وأنهم لا يريدون خروجاً . وقد ألححت عليهم  
وأنبأتهم أنى أحمل إليهم الخلاص وإذا هم يتصايحون :  
الخلاص من ماذا ! ثم أخذوا يسبوننى ، وقد أحرزنى هذا  
كثيراً لمكان بيريتوس ، فقد كان يتميزنى فى مشقة  
ويعيب الشجاعة ويسخر من شجاعته هو ، ويعلم فى غير  
تحفظ أنه لن يفارق لذته الحاضرة فى سبيل المجد مهما يكن .  
ولم أكن أستطيع أن ألومه ؛ فقد كنت أعلم أنى لولا  
احتياط ديدال لتورطت فى مثل ما تورطوا فيه . ولم  
أستطع أن أخرجهم إلا حين اصطنعت معهم العنف ،  
وأعملت فيهم الوكز واللكز . وقد كانوا مثقلين بكثرة  
ما أكلوا وشربوا وسكروا ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا .  
فلما خرجوا من اللابيرنت احتاجوا إلى وقت أى وقت  
وجهد أى جهد ليستردوا صوابهم ويشوبوا إلى أنفسهم .  
على أنهم لم يفعلوا ذلك إلا محزونين . وقد حدثونى فيما بعد

أنهم كانوا يرون أنهم يهبطون من قمة عالية يشع عليها  
النعم إلى قرارة وادٍ ضيق مظلم ضئيل ؛ لأن كل واحد  
منهم قد عاد إلى سجنه الخاص ، وهو شخصه المحدود الذي  
لا إفلات منه . ومع ذلك فقد جعل پيريتوس بعد قليل  
يحس الندم على هذه الصنعة العابرة التي تورط فيها ، ويؤكد  
أنه سيشتري نفسه أمام نفسه وأمامى بكثير من حسن  
البلاء . وما أسرع ما أتيجت له الفرصة ليثبت إخلاصه لى .



لم أكن أخفى عليه شيئاً ؛ فقد كان يعرف وجدى  
 بأريان ووجدى عليها . بل لم أكن أخفى عليه أنى كنت  
 متبها بفيدر وإن لم تكن قد تجاوزت الصبا بعد . كانت  
 فى ذلك الوقت تكثر من اصطناع أرجوحة قد علقت إلى  
 نخلتين ، وكنت إذا رأيته تترجى على هذا النحو وتعبث  
 الريح بشوئها أخذنى شىء يشبه الدوار . ولكنى كنت  
 أدير رأسى مسرماً وأخفى ميلى متحفظاً إذا ظهرت أريان  
 أخشى أن تثور غيرة الأخت الكبرى . ومن الشر أن  
 يقصر الإنسان فى إرضاء ما يساور نفسه من رغبة ؛

ولكن لم يكن بد من اصطناع الحيلة والمكر لتحقيق ما كان يدور في خلدي من خطف هذه الصبية . هناك ابتكر بيريتوس وسيلة إلى تحقيق مأربي ، دلت على ما كان يمتاز به من سعة الحيلة . وكانت إقامتنا في الجزيرة تطول وإن لم أكن أفكر كما لم تكن أريان تفكر إلا في السفر ، ولكن الشيء الذي كانت أريان تجهله هو أنني كنت مصمما على ألا أترك الجزيرة إلا ومعى فيدر . وكان بيريتوس يعلم ذلك . وهاك الحيلة التي أعانني بها :

كان أكثر حرية مني ؛ فقد كانت أريان تأخذ على كل طريق ، وكان من أجل ذلك قد استطاع أن يدرس شؤون الجزيرة ويعرف من عاداتها ما كنت أجهل — قال لي ذات صباح :

— أظن أنني قد بلغت الغاية . تعلم أن هذين الحكيمين مينوس ورادامونت قد نظما أخلاق الجزيرة وسيرة

أهلها ، ونظما بنوع خاص شئون هذا الحب البغيض الذى يعطف أهل الجزيرة على الغلمان كما ترى ذلك فى ثقافتهم ، إلى حد أن كل فتى قد بلغ الحلم ، ولم يكن له خليل من الذين يكبرونه فى السن يتعرض لكثير من الازدراء والضعة ؛ لأنه إن كان رائع الجمال فيجب أن يكون فيه عيب يتصل بعقله أو جسمه ويصرف عنه الخلان . وقد أفضى إلى جالوكوس أصغر أبناء مينوس والذى يشبه فيدر حتى كأنه ضريبها بما يثير ذلك فى نفسه من هم . وقد حاولت أن أغريه بأن لقب الإمارة الذى يحمله قد أربب الناس فلم يسم إليه منهم أحد ، فكان يجيبنى بأن هذا ممكن ، ولكنه محزن له ؛ ويجب أن يعلم الناس أن هذا يحزن مينوس نفسه ؛ لأن مينوس لا يحفل عادة بتفاوت الطبقات ولا باختلاف الدرجات ، ومع ذلك فقد يسره أن يرى أميراً ممتازاً مثلك يُعنى بابنه . وقد قدرت أن

أريان التي تغار من أختها أشد الغيرة لن تغار من أخيها .  
 فلم ير الناس امرأة تغار من غلام . وعلى كل حال فسترى  
 أن من غير اللائق أن تظهر شيئاً من الريبة ، فتستطيع أن  
 تقدم في غير خوف .

صحت به :

— وهل تظن أن الخوف يقضى عن شيء ، ولكنى  
 وإن كنت يونانياً لا أسيغ مثل هذا الحب لغلام مهما  
 يكن حظه من الجمال والظرف ، أختلف في ذلك عن  
 هيرقل الذى أترك له في غير أسف خليفه هيلاس (٦١) .  
 ومهما يكن الشبه بين صايحك جلوكوس وبين فيدر فاينى  
 أريدها هي لا هو .

قال :

— لم تفهم عني ، فلست أقترح عليك أن تستصحب  
 جلوكوس مكان فيدر ، وإنما أعرض عليك أن تستصحب

فيدر مكان جلوكوس ، وأن تخدع أريان وتخدع الناس جميعا فتخيل إليهم أنك ستستصحب الفتى . اسمع وافهم عني ، إن من العادات التي أقرها مينوس نفسه في الجزيرة أن يستصحب الخليل فتاه ليعيش معه في داره شهرين كاملين ، ثم يعلن الغلام بعد ذلك إلى الناس أنه راض عن خليله وعن سيرته معه . واستصحبك لجلوكوس هذا الموهوم معناه أن تحمله إلى هذه السفينة التي جاءت بنا من بلاد اليونان ، فإذا اجتمعنا في السفينة ومعنا فيدر مستخفية ومعنا أريان التي تحرص على مرافقتنا فأبحر بالسفينة مسرعا حتى تبعد عن الساحل . ولأهل أقریطش سفن كثيرة ولكنها أبطأ جريا من سفننا ، فإذا طلبونا فمن اليسير أن نفوتهم . تحدث في هذا إلى مينوس وثق بأنه سيرضى عنه بشرط أن تقنعه بأنك ستستصحب جلوكوس لا فيدر ، فلن يحلم بخليل مؤدب



لجلوكوس خيرا منك . ولكن قل لي أوافق أنت بأن  
فيدر راضية بصحبتك ؟

— لست أدري إلى الآن ؛ فإن أريان معنّية بالألا  
أخاؤ إلى أختها بحيث لم أستطع أن أودنها بذلك . . .  
ولكني واثق بأنها لن تتردد في صحبتي حين تعلم أنني  
أؤثرها على أختها .

وكان يجب قبل كل شيء أن أهيب أريان نفسها لهذه  
الخطّة ، فأفضيت إليها بالأمر مخادعا لما دبرنا .

فلم تكذب تسمع لي حتى صاحت :

— يا لها خطّة رائعة ! كم أنا سعيدة بالسفر مع أخي  
الصغير . إنك لا تدري إلى أي حد أحبه وأؤثره لظرفه  
وخفته . إنا متفقان دائما . وعلى ما بيننا من اختلاف  
السن ، فهو أثر الرفاق إلى . ليس شيء أجدر أن يوسع  
أفقه ويفتح عقله من إقامة في بلد أجنبي . سيتقن اليونانية

في أثينا ، وهو يتكلمها على نحو لا بأس به ، ولكنه  
يصطنع لهجة أجنبية سيصلحها في وقت قصير ، وستكون  
له قدوة صالحة . وددت لو يحرص على أن يشبهك .  
وقد كنت أترك هذه البائسة تقول غير عالة بما كان  
ينجأ لها .

وكان من الواجب أيضا أن ننبه جلوكوس لنتقى  
كل خطر . وقد نهض بيريتوس بهذه المهمة ، وقد أنبأني  
بعد ذلك بأن الفتى أحس شيئا كثيرا من خيبة الأمل ؛  
فقد كان يؤثر بالطبع أن يسافر هو ، ولم يكن بد من إثارة  
حبه لأخته وعطفه عليها ليقبل الاشتراك في هذا التدبير .  
وكان يجب أن ننبه فيدر أيضا ؛ فقد كانت خليقة أن تصبح  
إذا اختطفت قسراً أو مكرراً . ولكن بيريتوس اعتمد  
على أن الصبيين سيجدان في هذا التدبير ما يلهيهما ،  
فسيعبث جلوكوس بأبويه ، وستعبث فيدر بأختها .

وإذن فقد دخلت فيدر في الزى المألوف لجلو كوس ،  
وكانت قامتاهما متعادلتين . فلما أخفت شعرها وسترت  
أسفل وجهها لم يكن من الممكن أن تفتن أريان  
للخدعة .

ومن المحقق أنني كنت آلم لاضطراري إلى خيانة  
مينوس الذي بالغ في الإحسان إليّ . وقد تحدث إليّ  
بما كان ينتظر من الأثر الحسن الذي ستركه صحبتي في  
نفس ابنه وقد كنت ضيفه ، فقد خفرت ذمة مضيئي  
ولكني لم أحفل ، وليس من شأني أن أحفل ، بهذا التردد  
الذي يبقيه وخز الضمير ، وكنت أؤثر إرضاء رغباتي على  
الاعتراف بالجميل وعلى مراعاة الأياقة ، فكل شيء مباح  
ولا بد مما ليس منه بد .

وقد سبقتنا أريان إلى السفينة لتهيئ لنفسها فيها  
مكاناً ملائماً . ولم نكن ننتظر إلا فيدر لنسلم سفينتنا

الى الهرب . لم نختطفها حين أغلق الليل كما دبرنا أول الأمر ، بل بعد عشاء الأسيرة التي حرصت على أن تشارك فيه ، ثم اعتلت بما ألفت من ترك الأسيرة في أثر العشاء مقدرة أن أحداً لن يفطن لسفرها قبل أن يشرق النهار . وكذلك مضى كل شيء على ما كنا نهوى ، وكذلك هبطت إلى أتيكا مع فيدر بعد أيام . وبعد إن أنزلت أختها الجميلة المتعبة أريان في جزيرة ناكسوس (٦٢) .

وقد عرفت حين وصلت أرضنا أن إيجيه أبى لم يكدر يرى القلاع السود التي أهملت أن أضع مكانها القلاع البيض كما اتفقنا حتى ألقى نفسه في البحر ؛ وقد أشرت إلى ذلك آنفاً واست أحب أن أعود إليه . وإنما أضيف أنى رأيت فيما يرى النائم أثناء الليلة الأخيرة أنى أصبحت ملكا لاتيكا . . . ومهما يكن من شيء فقد كان هذا اليوم ، يوم عيد للشعب ولى ؛ لأننا عدنا فيه سالمين ،

ولأنى ارتقيت إلى العرش ، ويوم حداد لموت أبى . ومن  
 أجل ذلك أنشأت من الفور حفلات تتبادل فيها الجوقات  
 أغاني الحزن وأغاني الابتهاج . وحرصت مع أصحابى الذين  
 نجوا أن نشارك بالرقص فى هذا الحفل . حزن وابتهاج !  
 كان من الملائم أن نتمسك الشعب على هاتين العاطفتين  
 المتناقضتين .

وقد لامني اللائمون بعد ذلك في سيري مع أريان ،  
قالوا إني سرت معها سيرة الجبن ، ولم يكن يجمل بي أن  
أدعها ، وأن أدعها في جزيرة بنوع خاص . سخف ؛ فقد  
كنت حريصاً على أن أجعل البحر بينها وبينني ؛ فقد كانت  
تتبعني كما يتتبع الصائد صيده في إلحاح . ولما استكشفت  
ما دبرت من مكر ، وعرفت أختها في زى جلوكوس ثار  
ثأرها ، وجعلت تدفع صيحات موقعة ، ووصفتني  
بالخيانة . فلما أثقت عليّ واضطرتني إلى أن أنبئها بأنني  
سأنزلها في أول جزيرة تدفعنا إليها الريح التي أخذت

ثور ، أنذرته بقصيدة ستنشئها تصور فيها هذا الحجر  
الوضيع . أجبته على الفور أنها لن تستطيع أن تصنع خيراً  
من هذه القصيدة التي ستكون رائعة من غير شك إن  
جاز أن أحكم بما كنت أرى من ثورتها ولهجتها الغنائية  
الصادقة ، وستكون هذه القصيدة معزية نسلها عن  
حزنها . ولكن كان كل ما كنت أقول لها يزيد ثورتها  
حدة والتهاباً . وكذلك شأن النساء حين يراد ردهن  
إلى العقل . أما أنا فأسلم نفسي دائماً لغريزة تدفعني  
السذاجة إلى أن أثق بها

فقد دفعتنا الريح إلى جزيرة ناكسوس فتركها  
هناك ، وعلمت فيما بعد أن ديونيزوس لحق بها واتخذها  
لنفسه زوجاً . ولعل معنى ذلك أنها تسلت بالحر . ويقال  
إن الإله قد أهدى إليها يوم الزفاف تاجاً من صنع  
إيفايستوس<sup>(٦٣)</sup> ، وإن هذا التاج يتلألأ الآن بين نجوم

السماء ، وإن ذوس قد استقباهما في الأولمب وهوب لها  
الخلود . ويقال إنها شبهت بأفروديت . وقد تركت  
هذا كله يشاع ، بل حرصت على أن أسكت الألسنة  
المتهمة لى ، فبذات ما استطعت لتأليهما ، واستحدثت لها  
عبادة خاصة تكلفت أن أشارك فيها بالرقص . ومن الحق  
أنها ما كانت لتظفر بكل هذا الامتياز لو لم تلق منى هذا  
الهجران .

وهناك أحداث منحولة غنيت بها الأساطير :  
كاختطاف هيلانة (٦٤) وهبوط بيريتوس إلى دار الموتى ،  
واستحياء روزرين (٦٥) . فلم أحاول أن أكذب  
ما أشيع حول أريان من مثل هذه الأساطير رغبة في أن  
يبعد صوتى ويعظم خطرى . بل لعل أضفت إلى هذه  
الأساطير أساطير أخرى لأمسك الشعب على الإيمان ،  
وأمنعه من هذا الاستعداد للسخر من كل شيء ، كما يظهر



هذا واضحاً عند أهل أتيكا . فقد يكون من الخير أن يتحرر الشعب ، ولكن بشرط ألا يتخذ السخرية وسيلة إلى هذا التحرر .

والحق أنى منذ عدت إلى أتيننا احتفظت بالوفاء لفيدر . فقد تزوجت من المرأة ومن المدينة جميعاً . كنت زوجاً ، وانتقل إلى الملك من طريق الوراثة . وكنت أقول لنفسي : لقد انتهى عصر المغامرات ؛ فليس المهم الآن أن أفتح ، وإنما المهم أن أملك .

ولم يكن الملك شيئاً يسيراً ؛ فلم تكد أتيننا توجد في ذلك الوقت ، وإنما كانت أتيكا مجموعة من قرى صغيرة ينافس بعضها بعضاً في التفوق ، وينشأ عن هذا التنافس ألوان من الخصومات والغارات والصراع الذى لا ينتهى . فكان يجب أن أوجد هذا كله ، وأن أركز السلطان ؛ وهو شىء لم أظفر به إلا بعد مشقة وجهد بذلت في سبيله القوة والحيلة .

وكان أبى إيجيه يرى أن يثبت سلطانه باستبقا،  
 الخلاف بين القرى . وقد لاحظت أن هناة المواطنين  
 يضيعها الاختلاف ، وتبينت أن أكثر الشر إنما يأتى  
 من تفاوت الثروة ، وحرص كل فرد على أن ينمى ثروته .  
 ولم أكن أنا حريصا على الثراء ، وإنما كنت معنيا بالمصلحة  
 العامة بمقدار عنايتى بمصلحتى ، بل أكثر من عنايتى  
 بمصلحتى ، فقد أعطيت القدوة حين أخذت نفسى بحياة  
 بسيطة ، ثم قسمت الأرض قسمة عدلا بين المواطنين ،  
 فألغيت التنافس والتفوق وما ينشأ عنهما من الآثام .  
 وكانت خطة قاسية أرضت الفقراء من غير شك  
 وهم كثرة الناس ، ولكنها أسخطت الأغنياء لأنى  
 نزعته منهم بعض ما كانوا يملكون . وكان الأغنياء  
 قليلين ولكنهم كانوا مهرة . وقد جمعت أجلهم خطرا  
 وقلت لهم :

— إني لا احفل بشيء كما أحفل بالقيمة الفردية ،  
ولا ألتفت إلى غيرها من المزايا . لقد عرفتكم كيف تثرون  
بما لكم من مهارة ودراية بجمع الثروة وتنميتها ، ولستكنكم  
اتخذتم الجور والبغى سبيلا إلى الثراء في أكثر الأحيان .  
والخصومة التي تثور بينكم تعرض الدولة للخطر ، وأنا  
أريد أن تكون الدولة قوية بما من مما تكيدون . بهذا  
وخلده تستطيع أن تنعم وأن تقاوم غارة العدو . إن هذا  
الطمع البغيض في المال الذي يغريكم لا يكفل لكم السعادة  
لأنه لا يرضى . فكلما اكتسب الإنسان ثمنى أن يزداد  
كسبه . سأقتص إذن ثروتكم بالقوة ( التي أملكها )  
إذا لم تدعنوا لهذا راضين ، ولن أحتفظ لنفسى إلا بحماية  
القوانين وقيادة الجيش ، فأما ما دون ذلك فلا يعنيني .  
وأنا أريد أن أعيش بعد أن وليت الملك كما كنت أعيش  
قبل ذلك على حظ من المساواة مع أهون الناس شأنا .

وسأعرف كيف أفرض احترام القانون وكيف أفرض احترامى إذا لم أفرض خوفاً . وأريد أن يقال من حولنا إن أتيكا تدبر أمورها حكومة شعبية لا حكومة طاغية . فكل مواطن سيستمتع بما يستمتع غيره به من الحقوق السياسية ، لا عبرة بما يكون بينهم من اختلاف المولد . فإذا لم تقبلوا ذلك عن رضا فقد أنبأتكم بأننى أستطيع أن أحكم عليه كرها .

سأهدم بل سأمحو من الأرض محاكمكم الصغيرة المحلية ، وسأهدم وأمحو من الأرض مجالسكم الإقليمية ، وسأجمع تحت الأكروپول ما أخذ الناس يسمونه أثينا ، وقد وعدت الآلهة الذين سيعينوننى بأن الأجيال المقبلة لن تعظم إلا اسماً واحداً هو اسم أثينا . وسأحرر مدينتى ليلاس (٦٧) فأما الآن وقد ممعتم فالصرفوا وأطيعوا .

ثم أضفت العمل إلى القول ، فنزلت عن مظاهر الملك ودخلت في الصف ، ولم أتهيب أن أظهر للناس جميعا بغير حرس شأني في ذلك شأن المواطنين جميعا . ولكني كنت أعني دائما بالشئون العامة محافظا على الوفاق مقرا للنظام .

وقد استمع بيريتوس لهذه الخطبة التي ألقيتها على السادة ، فقال لي إنها خطبة رائعة ، ولكنها سخيفة . وكان يعلل ذلك بأن المساواة بين الناس ليست طبيعية بل ليست شيئا يبتغى . فمن العدل أن يتفوق الأخيار على طغام الناس بما تخوّلهم الفضيلة من امتياز . وهؤلاء الطغام إذا لم تُثر بينهم التنافس والتراحم والغيرة ظلوا هامدين خامدين أشبه شيء بالماء الراكد الآسن ؛ فليس لهم بد من حافز إلى العمل . فاحذر ألا يدفعهم هذا الحافز إلى الثورة بك والانتفاض عليك . وسواء أردت أم لم

ترد فإن هذه التسوية الأولى التى تطمح إليها والتى تكفل للناس جميعاً تكافؤ الفرص ليسعوا إلى الحياة من مستوى واحد ، ستنتهى قطعاً إلى الاختلاف والتفاوت ، فتنشأ طبقات تتأثر بما يمتاز الأفراد به من الكفاية وحسن البلاء ، ستنشأ طبقة العامة الشقية والأرستقراطية السعيدة .

قلت :

— إنى أقدر ذلك وأرجو أن يكون فى وقت قريب ، ولكنى لا أدرى لم تشقى العامة إذا كانت هذه الأرستقراطية الجديدة التى سأرعاها أرستقراطية العقل لا أرستقراطية المال .

ثم أردت أن يزداد حذر أثينا من الخطر والبأس ، فأعلنت أنها تتلقى فى غير تمييز ولا تفريق كل من يقبل عليها ليقيم فيها مهما يكن وطنه الأول ، وانطلق الدعاة من حول المدينة يصيحون : « أيها الشعوب ، هلم إلى أثينا » .

وقد ذاع ذلك حتى بلغ أبعد الآماد . أليس هذا هو  
الذى حمل أوديب ذلك الملك المخلوع البائس على أن يسعى  
إلى أتیکا يلتمس فيها الجوار والحماية ويموت فيها آخر  
الأمم ؟ ويتيح لى أن أكسب لهذه الأرض هذه البركة  
التي كتبها الآلهة لمثواه الأخير . سأحدث عن هذا  
الموضوع بعض الشيء .

وقد ضمنت للقادمين على أثينا نفس الحقوق التي  
يستمع بها المواطنون الأولون ، مؤجلا كل تفرقة إلى  
ما يسفر عنه الاختبار . فالاختبار وحده هو الذي يميز  
الخبث من الطيب . ولم أرد أن أحكم على أحد قبل أن  
أتبين بلاءه . بحيث لا أحقق تفرقة بين الآثينيين في الطبقة  
والمنزلة إلا لمصلحة النظام العام إذا اقتضت الضرورة  
شيئاً من ذلك بعد الاختبار . وكذلك استحق الآثينيون  
وحدهم بفضلي أنا اسم « الشعب » الذي أطلق عليهم

ولم يطلق إلا عليهم . هذا هو المجد الذى كسبته لنفسى  
والذى يربى على كل ما شيدت قديماً من مآثرة ، وهو مجد  
لم يبلغه هيرقل ولا جازون ولا بليروفون ولا پرسيه .  
ولم يتبعنى مع الأسف پيريتوس زميل الصبا . أما  
الأبطال الذين سميتهم وأبطال آخرون من أمثال ميلياجر (٦٧)  
وييليه (٦٨) فإنهم وقفوا عند مآثرهم الأولى أو مآثرتهم  
الأولى ولم يستطيعوا أن يتجاوزوها . ولم أرد أنا أن  
أقف عند هذه المآثر ، وكنت أقول لپيريتوس : هناك  
وقت لتحرير الأرض من الخوف الذى تثيره الوحوش ،  
ووقت آخر لاستثمار هذه الأرض المحررة . وقت لتحرير  
الناس من الخوف ، ووقت آخر لتمكينهم من الانتفاع  
بهذا التحرير وما يتيح لهم من أمن وسعة . ولا سبيل  
إلى هذا إلا النظام الدقيق . ولست أقبل أن يقف الرجل  
جهوده على نفسه كما يفعل البيوثيون (٦٩) . ولا أن يجعل



السعادة الحاملة غايته التي يسعى إليها . وكنت أعتقد أن  
الإنسان ليس حرًا وأنه لن يكون حرًا ، وليس من  
الخير أن يكونه . ولكني لا أستطيع أن أدفعه إلى أمام  
دون رضا ، ولا أن أبلغ منه الرضا إلا إذا خيَّلت إلى  
الشعب أنه حر . أردت أن أرتفع به ولم أقبل أن يظل  
راضياً بما قسم له حانياً رأسه من الذل . وكنت أرى أن  
الإنسانية تقدر على أكثر من هذا ، وهي أكرم من أن  
ترضى بهذا . وكنت أذكر ما ألقى إلى ديدال من العلم  
حين كان يزعم أن يورث الناس أسلاب الآلهة . وكانت  
قوتي تأتي من ثقتي بقدرة الإنسان على التقدم .

هنالك تخلف عني بيريتوس ولم يتبعني ، وكان قد  
رافقني وأعانني كثيراً أثناء الشباب ، ولكنني تبينت أن  
استبقاء الصداقة يقفنا عن السعي أو يردنا إلى وراء .  
هناك مواقف لا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها

إلا وحيداً . وإذ كان بيريتوس راجح العقل فقد ظلمت  
أسمع لأحاديثه دون أن أزيد على ذلك شيئاً . وقد تقدمت  
به السن ، فجعل يترك حكمته تستنيم إلى القصد  
والاعتدال ، وهو الذى لم يكن يقنع بشيء . فلم تكن  
مشورته تهدف إلا إلى التحديد والتقييد فى كل شيء .  
وكان يقول :

— ليس الإنسان خليقاً أن نشغل به أنفسنا إلى  
هذا الحد .

وكنت أجيبه :

— وبماذا نشغل أنفسنا إذا لم نشغلها بالإنسان الذى  
لم يقل كلمته الأخيرة بعد ؟  
وكان يقول لى أيضاً :

— هوّن عليك . ألم تقدم بين يديك ما يكفى من  
العمل ؟ الآن وقد ضمنت الرخاء والدعة لاثينا تستطيع

أنت تستريح إلى المجد وإلى سعادة الزوجية .  
 وكان يلح علىّ في أنت اعنى بفيدير ، ولم يكن  
 مخطئاً في هذه النصيحة على الأقل . فقد يجب أن أقص  
 الآن ما أصاب حياتي المنزلية من اضطراب ، وهذا  
 الحداد البغيض الذي أدت به إلى الآلهة ثمن ما أتيح لي  
 من نجاح وما اتصفت به من عُجب وتيه .

لقد كانت ثقتي بفيدر لا حد لها ، وكنت أراها تزداد  
 جمالا وظرفاً على مر الشهور . وكانت حياتها كلها نقاء  
 وطهرآ . وكنت قد استنقذتها صبية من بيئتها السيئة ؛  
 فلم أقدر أنها استبقت من هذه البيئة بعض دواعي الشر .  
 وليس من شك في أنها ورثت بعض خصال أمها ، وكان  
 اعتذارها فيما بعد بأنها غير مسؤولة ، وبأن القضاء قد  
 سخرها لما أراد ، يقوم على بعض الحق . ولكن لم يكن  
 هذا كل شيء . وأظن أنها كانت تسرف في ازدراء  
 أفروديت . والآلهة ذوو انتقام ، فلم يغن عنها آخر الأمر

إلحاحها في ترضى الإلهة بالقربان والدعاء . فقد كانت فيدر  
تقية . كما كانت أسرتها . ولكن كان مما يسوء أن جميع  
أعضاء الأسرة لم يكونوا يخلصون لإلهه بعينه ؛ فقد كانت  
باسيفاييه مخلصه لدوس ، وكانت أريان مخلصه لديونيوسوس .  
أما أنا فكنت أعبد پلاس أتينييه وأعبد پوسيدون الذى  
تجمعتنى به صلة خفية ، والذى كان قد أخذ نفسه لشقائى  
بأن يستجيب لى حتى لم أدعه عبثاً فى يوم من الأيام . أما  
ابنى الذى ولدته لى الأمازون والذى كنت أوثره أشد  
الايثار ، فقد كان يعبد أرتيميس إلهة الصيد . وكان عفاً  
مثلها بمقدار ما كنت أنا فاجراً فى سنه . وكان يتتبع  
الأدغال والغابات طارياً تحت ضوء القمر ، ويتجنب القصر  
ومجالس الحكم ولقاء النساء خاصة . ولم يكن يرضى عن  
نفسه إلا بين كلاب صيده ، يتتبع بهن إلى أعلى قمم الجبال  
وفى أسفل الأودية والوهاد هرب الوحوش . وكثيراً

ما كان يروض الخيل الجامعة يجريهن أهلى رمال الساحل  
ليقحمهن أمواج البحر . ما كان أشد حبي له فى أطواره  
تلك فقد كان رائعاً أياً متمرداً إلا على الطبع ؛ فقد  
كان يؤثرنى بالإكبار والإجلال ؛ ولكن على الأوضاع  
التي تحد من سلطان الإنسان وتقل من عزمه . لقد كنت  
أريد أن أختصه بولاية عهدى ، وكنت خليفاً أن أنام  
هادئاً مطمئناً بعد أن أسلم أئنة الدولة إلى يديه النقيتين ؛  
فقد كنت أعرف فيه الامتناع على الرغبة والرغبة جميعاً .  
ولم أقدر إلا بعد فوات الوقت أن من الممكن أن  
تصبو إليه نفس فيدر . وكان يجب على أن أقدر ذلك ؛  
فقد كان يشبهنى حين كنت فى سنه . وقد كانت الشيخوخة  
تسرع إلى على حين كانت فيدر تحتفظ بشباب غريب .  
ولعلها كانت لا تزال تحببى ولكن كما يحب الآباء . وقد  
تعلمت على حساب نفسى أن ليس من الخير أن تبعد آماد

السن بين الزوجين . ومن أجل ذلك لا ألوم فيدر في هذا الحب الذى لا يخالف قوانين الطبيعة وإن لم يخل من بعض الإثم ، وإنما ألومها ولا أغفر لها أنها حين تبينت ألا سبيل إلى إرضاء هذا الحب اتهمت هيپوليت هذا الابن النقي الوفى بشهوتها الآثمة المنكرة . وقد كنت أباً غافلاً ، وزوجاً واثقاً ، فصدقته . ولمرة الوحيدة التى وثقت فيها بقول امرأة ، ضللت السبيل فاستنزلت سخط الإله على ابنى البرىء . وقد استجاب الإله لدعائى والناس يدعون الآلهة ولكنهم يجهلون أن الآلهة يستجيبون لهم فى أكثر الأحيان فيشقونهم ، وكذلك رأيتنى قد خضعت لإرادة مفاجئة جامحة ضالة فقتلت ابنى ، وما زلت لذلك جزأ لا أجد سبيلاً إلى العزاء . وقد أحسنت فيدر حين تبينت جريمتها فقضت على نفسها الموت . ولكنى الآن وقد فقدت حتى مودة

پيريتوس أصبحت وحيداً وقد أدركتني الشيخوخة .  
وقد تلقيت أوديب منفياً من وطنه ثيباً قد فقد  
عينيه وبدا عليه الضر ، ولكنه على الأقل لم يكن وحيداً  
وإنما كان بين ابنتيه يحمل إليه حنانهما ما يخفف من لوعة  
أساه . لقد كتب عليه الإخفاق في كل ما حاول ، وكتب  
لي النجاح في كل ما حاولت حتى إن البركة التي قضاها  
الآلهة للأرض التي تضم جثته بعد موته لم تتح لوطنه  
ثيبا ، وإنما أتيحت لاثينا .

وإنه ليدهشني ألا يتحدث الناس إلا قليلا عن التقائنا  
في كولونا (٧٠) ، وعن هذه المواجهة بين مصيرينا في آخر  
الشوط الذي كتب لكل واحد منا أن يقطعه . مع أني  
أنا أرى في هذا اللقاء قمة ما أثلت لنفسي من مجد ، وتتويجاً  
لما قدّمت بين يديّ من عمل . لقد أملت كل شيء ورأيت  
كل شيء يميل إلى ( إذا استثنيت ديدال ولكنه كان



يكبرنى جداً . ومع ذلك فقد خضع لى ديدال ، نفسه . )  
 وكنت أرى عند أوديب وحده عزة تلائم عزتى ، ولم  
 تكن المحن التى ألمت به إلا لترفع فى نفسى مكانة هذا  
 المنهزم . لقد انتصرت من غير شك فى كل مكان وفى كل  
 وقت ، ولكن فى مستوى إنسانى متواضع إذا قيس إلى  
 أوديب . أما هو فقد قهر أبا الهول ، وأقام الإنسان أمام  
 اللغز ، واستطاع أن يقفه بازاء الآلهة . وإذن فكيف  
 ولماذا قبل الهزيمة ؟ بل ألم يشارك فى تحقيق هذه الهزيمة  
 حين فقا عينيه لقد كان فى هذه الجناية التى جناها على  
 نفسه شىء لم أكن أستطيع فهمه . وقد أظهرته على ما أجاء  
 من دهش ، ولكن تعليله لم يكد يقنعنى . ذلك شىء يجب  
 أن أعترف به ، ولعلنى لم أحسن الفهم عنه .

قال لى :

— من الحق أنى أستجبت لثورة جامعة من

الغضب ، لم أكن أستطيع أن أوجهها إلا إلى نفسي ، فعلى من كنت أستطيع أن أثور ؟ لقد رأيت هول هذه التهم المنكرة التي ظهرت لي ، فلم أجد بداً من أن أنكر وأحتج . ومع ذلك فلم أكن أريد أن أفقأ عيني بمقدار ما كنت أريد أن أشق هذا المنظر الذي يملؤه الكذب والذي فقدت الإيمان به والذي كنت أضطرب بين مظاهره ، بل لم أكن أفكر في شيء وإنما دفعتني إلى ما عملت . فقأت عيني عقاباً لهما على أنهما لم تريا شيئاً كان من الواضح والبداهة بحيث كان خليقاً أن يفقأ عيني ، كما يقال . . . . . لست أدري كيف أبين لك عن ذلك . . . . . فلم يفهم أحد تلك الصيحة التي بعثتها يومئذ : « إلى أيتها الظلمة . أنت ضوئي » . وأشعر أنك أنت أيضاً لا تفهم هذه الصيحة . لقد سمع الناس من هذه الصيحة شكاة ، مع أنها لم تكن إلا ملاحظة للحقيقة الواقعة . كانت هذه الصيحة تعني

أن الظلمة قد بددها بالقياس إلى ضوء خارق للطبيعة يغمر  
عالم النفوس . وكانت هذه الصيحة تعنى : أيتها الظلمة  
ستكونين منذ الآن ضوئى . وفى الوقت الذى كانت  
الظلمة فيه تحجب عن عيني جمال السماء كانت سماء أخرى  
داخلية قد أخذت تتألق فيها النجوم .

ثم سكت ولبث لحظة مغرقاً فى تفكير عميق ،  
ثم قال :

— لقد كانت تظن بى الفطنة أثناء الشباب . وكنت  
أرى نفسى فطناً . ألم أكن أول من أجاب ! بل ألم  
أكن الوحيد الذى أجاب على سؤال أبى الهول ! ولكن  
ينحى إلى أنى لم آخذ فى النظر الصادق الصحيح إلا منذ  
فقت عيني يدي وحلت بينهما وبين الضوء . أجل !  
فى الوقت الذى يحجب فيه العالم الخارجى عن عيني  
إلى آخر الدهر تتاح لضميري نظرة جديدة إلى

عالم داخلي كان العالم الخارجي يشغلني عنه ويحملني  
على ازدرائه .

وهذا العالم الذي لا يحس والذي لا تستطيع حواسنا  
أن تطمع في بلوغه ، هو فيما أعلم الآن وحده الحق . فأما  
ما عداه فوهم يخدعنا ويصدنا عن مشاهدة العالم الإلهي  
« يجب أن ننصرف عن رؤية العالم لنرى الإله » . كذلك  
كان يقول لي ذات يوم ذلك الحكيم الضريير تيرسياس  
ولم أكن أفهم عنه حينئذ كما أرى الآن يا ثيسوس أنك  
لا تفهم عني .

قلت :

— لا أحاول أن أنكر خطر هذا العالم الذي  
تستكشفه منذ فقدت عينيك ، ولكن الذي لا أفهمه  
هو أنك تجعل هذا العالم ضدًا معاندًا للعالم الذي نراه  
ونعيش ونعمل فيه .

أجاب :

— ذلك أن نظرة الضمير هذه أظهرتني لأول مرة على ما لم أكن أرى ، فاقتنعت بهذا الذى ستسمعه . لقد أقمت ملكي الإنسانى على جريمة فنشأ عن ذلك أن أصبح كل ما أتيت به بعد الملك ملوثاً ، لا بالقياس إلى ما صدر عنى أنا من قول أو عمل فحسب ، بل كذلك بالقياس إلى ابنيّ اللذين تركت لهما التاج : فقد تركت من انقور ذلك الملك المخزى الذى ساقته إلى الجريمة . وأنت تستطيع أن تعرف إلى أى جريمة جديدة دفع ابنائى وأى قضاء مهين مخز قد ألحّ على كل ما تلد الإنسانية الخاطئة . وليس ابنائى إلا مثلاً صارخاً لهذه المحنة ، فهما ثمرة الإثم ، وهما من أجل ذلك أشد ملاءمة لهذه المحنة . ولكن ينحيل إلى أن هناك إثماً مستأصلاً قد شقيت به الإنسانية ولن ينجو من آثاره أحد حتى الأخيار ، إلا

أن تنال الإنسانية رحمة تغسل عنها هذا الوضر .  
ثم عاد إلى الصمت لحظات كأنه كان يريد أن يمعن في  
التفكير إلى أبعد مما بلغ ، ثم قال :

— إنك تدهش لأنى فقأت عيني ، وأنا أيضاً دهش .  
ولكن لعل في هذا العمل الأحمق القاسى شيئاً آخر هو  
هذه الحاجة الخفية إلى أن أدفع حظى إلى غايته ، وأبلغ  
بألمى أبعد آماده وأتم بذلك مصيراً من مصائر الأبطال .  
ولعلى أحسست فى غير وضوح ما فى الألم من جلال وتطهير  
للنفوس يكره البطل أن يمتنع عليه . وأعتقد أن هذا هو  
الذى يثبت عظمتة ، وأنه لا يرقى إلى العظمة حقاً إلا حين  
يسقط ضحية ، فيكره بذلك الآلهة على أن يعرفوه ،  
ويتزع من أيديهم سلاح الانتقام . ومهما يكن من  
شئ فإن خطاياى وآثامى مهما تبلغ من الشناعة  
والبشاعة ، لا تمنعنى الآن من أن أجد سعادة داخلية

رائعة تكافئ كل مالتيت من ألم وما شقيت به من بؤس .

قلت حين رأيت أنه أتم حديثه :

— أيها العزيز أوديب ، لا يسعني إلا أن أثني على هذه

الحكمة التي تصطنعها والتي تتجاوز طاقة الإنسان .

ولكن تفكيرى لا يستطيع أن يرافق تفكيرك في هذه

الطريق . فأنا ابن هذه الأرض ، وسأبقى ابنها ، وأرى

أن الإنسان كائناً من يكون ومهما يكن حظه من هذا

الإثم المستأصل الذى تشير إليه ، يجب أن يلعب بالورق

الذى أتيح له في هذه الدنيا . وأكبر الظن أنك قد أحسنت

الارتفاع بما كتب عليك من البؤس . ولعلك قد أمنت

في ذلك حتى أتيح لك الاتصال بهذا الذى تسميه الإله ،

بل أنا أعتقد أن نوعاً من البركة يتصل بك ، ويحل كما يقال

في الأرض التي تضم جثتك بعد الموت .

ولم أضف أن الذى كان يعينى هو أن تكون هذه

الأرض أرض أتيكا ، وكنت أهني نفسي بأن الآلهة قد  
أهدوا إلي ثمرة ثيبا .

وإذا وازنت بين مصيري ومصير أوديب فانا سعيد ،  
لأنني أدت ما كان يجب أن أؤدي . فانا أترك للإنسانية  
مدينة أثينا . لقد آثرتها على ابني وزوجي ، وجعلتها  
مدينتي . وستسكنها بعد أن أموت ذكراي إلى آخر  
الدهر . وأنا أسعى وحيدا راضيا إلى الموت . فقد ذقت  
ثمرات الأرض . ويلد لي أن أفكر في أن الناس بعدى  
وبفضلى سيرون أنفسهم خيرا منا وأسعد منا وأدنى منا  
إلى الحرية . لقد أبليت في خدمة الإنسانية المستقبلية  
ما استطعت . لقد حييت .





## ملحق

(١) ييتو : هو الاسم القديم لدلف أخذ من اسم الشعبان ييتون الذى قتله أبولون قريبا من المكان الذى أقيم فيه معبده .

(٢) كدموس : منشىء مدينة ثيبا يقال إنه ابن ملك فينيقي عبر البحر باحشا عن أخته التى اختطفها ذوس . فلما وصل إلى مكان ثيبا وجد تينا خطرا فقتله ونثر أسنانه فى الأرض فنشأ منها رجال مسلحون هم بناء للمدينة وأصل أهلها .

(٣) ليكوس : ملك من ملوك الأساطير كان صديقا لهرقل .

(٤) امفيون : بطل من أبطال اليونان ولد من صلة بين ذوس وأنتيوب وأهدى إليه أبولون ربابة من ذهب وقد ملك ثيبا وأقام أسوارها . كان يوقع على ربابته فتتسابق الأحجار إلى أماكنها من هذه الأسوار .

(٥) الپرناس : جبل يوناني قريب من دلف يرمز به إلى الشعر والفن لمكانه من معبد أبولون .

(٦) هيبوليت : ابن ثيسوس من زوجه انتيوب ملكة الأمازون .

(٧) بات : إله يوناني للمراعى والقطعان اخترع الزمار له قرن المعز وأرجله وفي يده محجر .

(٨) دوس : أبو الآلهة وعظيهم وملك الآلهة والناس إليه تصريف شؤون الكون كله بقوته القاهرة وحكمته الخفية وهو مع ذلك لا يغلت من سلطان القضاء .

(٩) تيتيس : إلهة من آلهة البحر تزوجت ملكا يونانيا هو بيليه ، فولدت له أخيل أعظم أبطال اليونان خطراً .

(١٠) پوسيدون : إله البحر وهو أخو دوس وهو خالق الخيل وهو يجمع العواصف ومفرقها .

(١١) إيجيه : ملك أثينا وهو أبو ثيسوس على ما ترى حول  
هذه الأبوة من كلام في القصة التي كتبها  
أندريه جيد وفي حياة العظماء التي كتبها  
پلوتارك .

(١٢) افرو ديت : هي الزهرة أو فينوس باللاتينية ، وهي إلهة  
الجمال والحب نشأت من زبد البحر .

(١٣) اقريطش : جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط لها  
مكاتها الممتازة في الحضارة الايجية التي سبقت  
حضارة اليونان .

(١٤) ميديه : ساحرة خطفها جازون من كولشيد - في القوقاز -  
فلما تركها أثارها الغيظ ، فذبحت بنيتها ثم  
اتتت إلى أثينا فتزوجها ملكها ايجيه وسمت  
بأن تسم ابنه ثيسوس فلم تفلح وطردها  
الاثينيون .

(١٥) جورجوني : وحوش غريبة مبروعة مؤنثة وكن ثلاثا بمسخن  
من ينظر إليهن حجرا .

(١٦) بليروفون : بطل من أبطال كورنت أحبته ملكة أرجوس ولم تجد عنده لها صدى . فزعمت لزوجها أنه أراد بها السوء . هنالك كلفه ملك أرجوس مناسرات كثيرة خطيرة خرج منها ظافرا .

(١٧) بيريتيس : قاطع طريق مشهور وهو ابن ايفايستوس .

(١٨) ابيدور : اسم لمدن ثلاث يونانية أشهرها في الجنوب الشرقى لليونان قريبا من أرجوس .

(١٩) پرومثيروس : مارد سرق النار من الآلهة وأهداها إلى الناس فعلمهم الحضارة ، وطاقه كبير الآلهة على ذلك فشده إلى صخرة في القوقاز وسلط عليه نيرا ينهش من كبده التي لا تكاد تفي حتى تتجدد وما زال كذلك حتى أنقذه هيرقل .

(٢٠) بيريتوس : صديق ثيسوس ورفيقه في منامراته الكثيرة ، هبط معه إلى دار الموتى لانتقاذ برسيفونية فلم يعد .

(٢١) هيرقل : بطل اليونان الأكبر ، ولد من صلة بين كبير الآلهة وبين ألكين من أهل ثيبا وعرف بمغامراته الاثنتي عشرة وهو الذي أنقذ ثيسوس من دار الموت حين هبط إليها مع بيريتوس ، أهدت إليه زوجه قيصا مسموما قدرت أنه سيرده إليها فأذاقه الموت .

(٢٢) أمفال : ملكة ليديا ، شغف حبها قلب هيرقل فأذله حتى اتخذ المنزل بين يديها كما تصنع النساء .

(٢٣) اتايوب : ملكة الأمازون تزوجها ثيسوس فولدت له ابنة هيوليت .

(٢٤) الأمازون : شعب من النساء المحاربات كان يعيش على ساحل البحر الأسود غزاه هيرقل وبليروفون وثيسپوس الذي تزوج ملكته .

(٢٥) بيتيه : ملك يوناني قديم كان يعرف بالحكمة وهو جد ثيسوس لأمه .

(٢٦) تريزين : مدينة في الشرق الجنوبي لبلاد اليونان كان يملك عليها بيتيه وفيها ولد حفيده ثيسوس .

(٢٧) پيلوپونيز : هو شبه الجزيرة الذي تنتهى به بلاد اليونان جنوبا ويعرف الآن باسم مورا وهو يتخذ اسمه القديم من پيلوبس الذي فتحه .

(٢٨) سنيس : قاطع طريق مشهور يقال إنه من ولد پوسيدون قتله ثيسوس .

(٢٩) بروكروست : قاطع طريق مشهور في آتيكا قهره ثيسوس .

(٣٠) چيريون : مارد ذو رؤس ثلاثة وأجسام ثلاثة قهره هيرقل وساق قطعانه .

(٣١) سيرسيون : قاطع طريق من ولد پوسيدون قتله ثيسوس .

(٣٢) سبرون : قاطع طريق في برزخ كورنت قتله ثيسوس .

(٣٣) پيريجون : بنت المارد سينيس منحت ثيسوس أحد آبنائه .

(٣٤) ميناليب : هو الابن الذي ولدته پيريجون لثيسوس .

(٣٥) ميتوس : أول ملوك أقريطش وهو زوج باسيفائية وأبو أريبن وفيدر . ويقال إن الآلهة اختاروه قاضياً في دار الموتى .

(٣٦) أندروجيه : ابن مينوس ملك أقريطش وزوجه باسيفائية .

(٣٧) المنيوتور : كائن غريب فيه ملامح الإنسان والثور ولدته باسيفائية ملكة أقريطش حين أحبت ثورها الأبيض . وقد قتله ثيسبوس .

(٣٨) باسيفائية : زوج مينوس ملك أقريطش . أحبت ثوراً أبيض فولدت له للمنيوتور الذي حبسه زوجها مينوس في اللايرنت .

(٣٩) أميسوس : ثور في جزيرة أقريطش .

(٤٠) كنوسوس : مدينة في أقريطش كانت عاصمة لملك مينوس .

(٤١) ألكيون : طائر خرافي من طير البحر .

(٤٢) ليتوس : مدينة في أقريطش .



(٤٣) جورتين : مدينة في اقريطش .

(٤٤) رادامنت : هو اخو مينوس ملك اقريطش ، ولد جميعا لدوس من عشيقته الفنيقية أوروب . وكلاهما كان مشرعا في حياته وقاضيا بعد موته .

(٤٥) ديدال : مهندس ومثال أثيني بنى اللايرنت لمينوس .

(٤٦) اريان : هي ابنة مينوس وباسيفايية أحببت ثيسوس فأنتدته بخيوطها من اللايرنت وفرت معه ولكنه تركها في بعض الطريق .

(٤٧) فيدر : هي أخت اريان تزوجها ثيسوس فأحبت ابنه الشاب هيپوليت ولم تجد عنده صدى لحبها ، فأتته عند أبيه وكان ذلك سبباً لموته . ثم أخذها الندم فقتلت نفسها .

(٤٨) جلوكوس : ابن مينوس وباسيفاييه .

(٤٩) ليدا : زوج تندار ملك اسبرتا أحبها ذوس فولدت ابنيها كستور وپولوكس وابنتيها هيلانه التي سببت حرب طروادة وكليتمنستر التي قتلت زوجها أجاممنون .

(٥٠) أوروب : بنت اچينور ملك فينيقيا أحبها ذوس واختطفها فولدت له مينوس ملك أقریطش وأخاه رادامنت

(٥١) الالپرنث : قصر بناء ديدال لمينوس ملك أقریطش وفيه كان سجن المنيوتور ومن خصائصه أن من دخله لا يستطيع أن يجد منه مخرجا .

(٥٢) إيكار : ابن ديدال حاول أن يطير بجناحين من ريش وشمع ، فأذابت الشمس جناحيه فهوى ومات .

(٥٣) تالوس : كان قريبا لديدال ومن تلاميذه .

(٥٤) موريس : بحيرة كانت في النيوم يقال الآن إن بحيرة قارون من بقاياها .

(٥٥) أوريون : مارد هائل كان مولما بالصيد ودفعه الغرور إلى مباراة إلهة الصيد أرتيميس التي نقت منه فسلطت عليه عقربا لدغته فمات . ثم جعله الآلهة نجما من نجوم السماء .

(٥٦) تنثال : ملك من ملوك ليديا أسرف على نفسه في الغرور وسخر من الآلهة ، فقدم إليهم في بعض الولائم لحم ابنه . وقد غضب عليه ذوس فأرسله إلى الجحيم وقضى عليه أن يشتهي دائماً ولا يجد لشهوته شفاء على قرب الشفاء منه . فالتمس في متناول يده ولكنه لا يبلغه ، والمساء قريب من شنتيه ولكنه لا يذوقه .

(٧) سيثيف : بطل من أبطال اليونان أنشأ مدينة كورنت ، وكان حكماً مأكراً داهية عائد الآلهة وسخر منهم وقيد الموت حتى ضجج منه الآلهة أنفسهم ، ثم قهروه آخر الأمر وقضوا عليه أن ينفق الدهر كله في دفع صخرة من أسفل الجبل إلى قته . ولكن صخرته لا تنفك تهوى إلى التاع كلما أوشكت أن تبلغ القمة .

(٥٨) چازون : بطل من أبطال اليونان غامر مع جماعة من أتراكه في طلب الجزة الذهبية وقتل حارسها وهو تين عظيم الشر كان يلفظ النار من فيه .

(٥٩) برسيه : بطل من أبطال اليونان ولدته دنائيه حين أحبا ذوس وتمثل لها بمطرا من ذهب .

(٦٠) سنتور : كائنات غريبة قوية كانت لما ملامح الانسان والفرس وكانت بينها وبين الآلهة والأبطال صلات وخطوب .

(٦١) هيلاس . كان صديقاً شاباً لهرقل رافقه في بعض مغامراته ومات في إحدى هذه المغامرات ، فلم يتعز عنه هرقل .

(٦٢) ناكسوس : جزيرة في بحر ايجه ترك فيها ثيسوس صاحبه اريان .

(٦٣) ايفايستوس : إله الحديد والنار وهو ابن ذوس أحفظ أباه ذات يوم فقذف به من أعلى الأولمب إلى الأرض فهو يخرج دائماً .

(٦٤) ميلانة : بنت ذوس ولدتها له ليدا وقد قن بها أبطال اليونان غطفها ثيسوس ثم ردها أخوها ، ولكن باريس غطفها بعد ذلك إلى طرواده . فكانت سبباً في الحرب المشهورة .

(٦٥) پروزوپين : بنت ديمتر إلهة الأرض والخصب غطفها كبير آلهة الجحيم واتخذها لنفسه زوجاً .

(٦٦) پلاس : اسم من أسماء آلهة أثينا حامية مدينة أثينا .

(٦٧) ميلياجر : بطل يوناني علمت أمه أنه سيموت إذا التهمت النار عودا كان في الموقد حين ولادته . فلما ولد أخذت أمه هذا العود فأطفأته واحتفظت به فعاش ابنها حتى شارك في مغامرات كثيرة خطيرة . ولكنه أحفظ أمه حين قتل أخويها فألقت العود في النار ولم يكده يحترق حتى مات البطل .

(٦٨) يليه : أبو أخيل بطل الألياذة وقد ولد له من زوجته الاله تيتيس .

(٦٩) البيوثيون : سكان في بلاد اليونان الوسطى قاعدتها ثيبا وكان اليونان يضربون بهم المثل في اكتفائهم بحياة الرخاء والغباء .

(٧٠) كولونا : ضاحية من ضواحي أثينا .

مطبعة الخليل المصري شركة مساهمة مصرية







# دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية

أصدرت بإشراف الدكتور طه حسين بك

موريس بارس ... جنة على نهر العاصي

(تعريب محمد عبد الحميد عنبر وعبد الحميد عابدين)

ايقان ترجنيف ... الحب الأول (تعريب محمود عبد المنعم مراد)

أندريه جيد ... أوديب - ثيسايوس (ترجمة طه حسين)

أندريه جيد ... الباب الضيق (تعريب نزيه الحكيم)

مع رسالة من أندريه جيد إلى المترجم ورد طه حسين إلى أندريه جيد

فيدور دستويشكي ... المقامر (تعريب شكرى محمد عباد)

ليون دوديه ... كليمنصو وحياته العاصفة

(تعريب حسن محمود) طبعة مزينة بالصور

أ. دي سانت اكسوپرى أرض البشر

(تعريب مصطفى كامل فوده) طبعة مزينة بالصور

محمد سعيد العريان ... من حولنا (قصص مصرية)

إميل لودفيج ... نابليون (تعريب محمود إبراهيم الدسوقي)

طبعة مزينة بالصور في جزأين

أندريه موروا ... وازن الأرواح (تعريب عبد ...)

أوسكار وايلد ... صورة دوريان جراي (تعريب ...)

طبعة مزينة بصور مختارة من فيلم ج.م. ٢٠.

أوسكار وايلد ... شبح كاتريفيل (تعريب لو ...)

طبعة مزينة بصور مختارة من فيلم ج.م. ٢٠.

بجي الخشاب ... حكايات فارسية

دار الكاتب المصري  
شركة مساهمة مصرية



شارع  
القاهرة مصر

